العلاقة بين اللذة والمعرفة والخير
فى محاورة "فيليبوس"

دكتورة/ أميمة ضياء الدين سوكة
مدرس الفلسفة اليونانية بقسم الفلسفة
كلية الآداب- جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

تعد "فيليبوس" استنادا إلى أسلوبها ومحتواها إحدى محاورات أفلاطون المتأخرة، تعود فيها شخصية سقراط لتقود الحوار، وإن ابتعد به أفلاطون عن أسلوبه المعروف في التهكم. وربما كان السبب في أن يستعيد سقراط دور القائد في "فيليبوس"، على الرغم من ضعف دوره في المحاورات المتأخرة الأخرى واختفائه تماما في "القوانين"، أن المحاورة تتناول اللذة التي كان لسقراط بصددها آراء قوية في المحاورات المبكرة، فأراد أفلاطون أن يعبر على لسانه عما يكون قد طرأ على هذه الآراء من تغير.

يدافع أفلاطون في "فيليبوس" عن حياة مختلطة باعتبارها أفضل حياة إنسانية، حياة تحتوي كلا من المعرفة واللذة من أنواع مختلفة. حيث يطرح في بداية المحاورة السؤال التقليدي: هل اللذة أو الحكمة هي الخير الأسمى؟ ويجيب مبكرا أن حياة مختلطة من كل من اللذة والحكمة أو المعرفة تتسم بالخير أكثر من أي منهما على حدة، ثم يحاول فيما تبقى من المحاورة أن يحدد مرتبة كل منهما وعلاقته بهذا الخير الأعلى.

ويبدو أن أفلاطون قد مال في المرحلة العمرية المتأخرة للنظر إلى اللذات كأجزاء مكونة للحياة الإنسانية الخيرة. ففي "القوانين" يعتبر التدريب المناسب على اللذة والألم بما في ذلك اللذة والألم الجسميين أمرا جوهريا من أجل النمو الأخلاقي لكل المواطنين. فكما أن الإنسان لن يكون شجاعا إلا إذا تدرب على محاربة وقهر الجبن بداخله، فكذلك لن يتسنى له السيطرة على نفسه إلا إذا خاض أولا معركة يواجه فيها الشهوة واللذة.[1]

وبمقارنة رؤية أفلاطون للحياة الخيرة أو السعادة في "فيليبوس" بآرائه السابقة نجد أنه في "فيدون" يتعامل مع لذات الجسم بقسوة معتبرا أن السعادة لا تأتي إلا بعد الموت عندما تتحرر النفس من أحمال الجسم، رافضا رأي العامة الذين يرون أن حياة تخلو من لذات الجسم غير جديرة بالعيش، ومعتقدا أن العقل يصل إلى الحقيقة عندما ينحصر في

---

(1) أفلاطون: القوانين، ترجمة تايلور، ونقلها إلى العربية محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٦، ص١١٧.

وكذلك:

- Frede, Dorothea, Life and its limitations: the conception of happiness in the Philebus, in "Plato's Philebus", Selected Papers From The Eighth Symposium Platonicum", ed. by John Dillon & Luc Brisson, International Plato Studies, Vol.26, Academia Verlag, 2010, p.4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حدود ذاته بعيدا عن الحواس واللذة والألم.[٢] وفى "الجمهورية" يعتبر أن معرفة الفيلسوف هى التى تضمن السعادة الحقيقية أو الخير، ومن ثم لا يوجد كثير من الأمل للإنسان العادى للوصول إلى الخير أو السعادة.

من هنا تُثار الشكوك حول مدى جدية أفلاطون فى تفضيله للحياة المختلطة فى "فيليبوس" على حياة العقل الخالص، خصوصا مع اختياره لسقراط بالذات للتعبير عن هذه الرؤية، وكذلك مع وجود إشارات عدة فى المحاورة إلى حياة الفكر الخالص التى تخلو من اللذة والألم باعتبارها أسمى حياة، وأيضا مع نقده المطول للذة والذى يكشف فيه عن عيوبها العديدة.

يتبادر إلى الذهن من ثم عدد من التساؤلات نحاول الإجابة عنها من خلال قراءتنا لمحاورة فيليبوس. **وتتمثل هذه التساؤلات فيما يلى**:

١. هل كان أفلاطون جادا فى اختياره لحياة مختلطة فى فيليبوس؟
٢. لماذا يمكن أن يفضل أفلاطون حياة مختلطة بالرغم من الاعتبارات التى تتحدث عن حياة العقل الخالص باعتبارها الحياة الأسمى؟
٣. لِمَ يمكن أن يقبل أفلاطون اللذة كمكون ضرورى للحياة الخيرة، مع العلم بعيوبها المتعددة والتى ذكرها فى نقده لها؟
٤. هل قبول أفلاطون للحياة المختلطة يمثل إذعانا لمذهب اللذة؟ وإلى أى مدى يتفق أو يختلف مع أتباع مذهب اللذة؟
٥. ما الأهمية النسبية لكل من المعرفة واللذة فى الحياة الخيرة؟
٦. هل كان أفلاطون تقليديا فى اهتمامه باللذة والحكمة وما إذا كان أى منهما هو الخير؟

الخير الإنسانى:

من أهم موضوعات الفكر الأخلاقى اليونانى البحث فى الخير وطرح السؤال: ما الخير؟ أو ما الخير الأسمى؟ يجيب مذهب اللذة عن هذا السؤال بأن اللذة هى الخير الأسمى، وهذا موقف فيليبوس- الذى سميت باسمه المحاورة - والذى يرى أن الخير لكل كائن حى هو اللذة والمتعة والابتهاج ومثل ذلك. فى المقابل يرى سقراط الخير فى الحكمة

(2) أفلاطون: فيدون، محاورات أفلاطون، ترجمة وتقديم زكى نجيب محمود، تحرير محمد عنانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠١، ص ١٦٨-١٧١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعرفة والذاكرة والآراء الصائبة والاستدلال الدقيق، وأنها مفضلة على اللذة لكل من لديه نصيب منها وهى الأكثر منفعة.[٣] يمثل فيليبوس مذهب اللذة فى صورته المتطرفة التى لا تسمح بقيمة لأى شئ عدا اللذة؛ فهى المرادف للخير والهدف الذى يجب أن يسعى إليه كل كائن حى. بينما يمثل سقراط المذهب العقلى دون تطرف فالحكمة والمعرفة وممارسة القدرات العقلية بصفة عامة أفضل من اللذة لكل كائن يمتلك هذه القدرات، وهى الفكرة التى لا تستبعد أى قيمة حقيقية للذة. وخلال أغلب المحاورة توضع الحكمة φρονησις مقابل للذة ηδονη وتستخدم بمعنى واسع لن يصبح دقيقا حتى يصل سقراط إلى تصنيف صور المعرفة.[٤]

ينسحب فيليبوس بموقفه المتطرف منذ البداية تاركا النقاش لبروتارخوس وهو الأكثر ميلا لقبول الحلول الوسط. وينصب اهتمام سقراط وبروتارخوس على الخير الإنسانى فهو الذى يستحق الانتباه فى حد ذاته، وإن لم يستبعد سقراط إمكانية وجود مسائل أخرى تتعلق بالخير كالبحث فى خير الكون أو فى مثال الخير.[٥] لا تختص المحاورة بتناول أى خير ميتافيزيقى يفوق الحس أو بمثال الخير ولكن بخير الإنسان. لذلك يقترح سقراط ويوافقه بروتارخوس أن الطلب سيكون لحالة للنفس لديها القدرة على أن تزود الإنسان بالسعادة. معنى ذلك أن مذهب اللذة يشترك مع المذهب السقراطى فى أن كلا منهما يجد الخير البشرى داخل النفس، مما يستبعد إمكانية أن يشمل مقتنيات خارجية كالثروة أو تقدير الزملاء، وهى الأمور التى يعتبرها أرسطو من مكونات السعادة بصفة عامة.[٦]

ويتساءل سقراط ماذا إذا ظهر أن هناك حالة ثالثة تتفوق على كل من اللذة والحكمة هى التى تزود الناس بالسعادة؟ فإذا تبين أن اللذة أقرب إلى طبيعة هذه الحالة الثالثة تكون هى المنتصرة، أما إذا تبين أن الحكمة أقرب إليها فإن الفوز يكون للحكمة. ويؤكد

---

(3) Plato, Philebus, translated with Notes and Commentary by J.C.B.Gosling, Clarendon Press. Oxford, 1975, 11b-c.

(4) Hackforth, R., Plato's Examination Of Pleasure, A Translation of the Philebus, with Introduction and Commentary by R. Hackforth, Cambridge University Press, Cambridge, 1945, p.12.

وانظر: - Philebus, 60a-b.

(5) Vogt, K.M., Why Pleasure Gains Fifth Rank: Against the Anti-Hedonist Interpretation of the Philebus, in "Plato's Philebus", Selected Papers From The Eighth Symposium Platonicum", ed. by John Dillon & Luc Brisson, International Plato Studies, Vol.26, Academia Verlag, 2010, pp.252-253.

(6) Hackforth, R., Op. Cit., p.12.

وانظر: - Philebus, 11d.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بروتارخوس كلام سقراط بينما يتمسك فيليبوس بموقفه، وبأنه سيظل على اعتقاده أن اللذة هى المنتصرة بلا شك، لكنه يترك لبروتارخوس أن يقرر لنفسه.[٧]

اللذة بين الوحدة والكثرة:

يرى سقراط ضرورة البدء بفحص اللذة وطبيعتها، لأنها تبدو فى حد ذاتها كوحدة بسيطة، لكنها تتخذ أشكالا متعددة تختلف إحداها عن الأخرى. فلا يمكن القول إن لذة الشخص الخليع المفعم بالأفكار والآمال السخيفة، تماثل اللذة التى يشعر بها الشخص العاقل المعتدل نتيجة اعتداله وعفته.[٨] يقصد سقراط أن يواجه بروتارخوس بالسؤال: كيف يمكن أن يحمل الخير على اللذة ككل رغم أنها ذات أشكال متعددة ومختلفة؟ يؤدى هذا إلى انخراط سقراط وبروتارخوس فى تناول مشكلة الوحدة والكثرة*، والتى تختص صورتها المألوفة بالسؤال: كيف يتسم مثال كاللذة بالوحدة ويتوزع مع ذلك بين حالات جزئية متعددة؟ لكن سقراط لا يعبر هنا عن تعدد أشكال اللذة فى صورة حالات فردية لها، وإنما فى صورة أنواع يمكن لكل منها أن يضم حالات فردية: كلذة الخليع فى مقابل لذة صاحب العقل الراجح، ولذة الجاهل فى مقابل لذة الحكيم. وبالتالى فإن المشكلة التى يهتم سقراط بها هنا تتمثل فى السؤال: كيف يمكن لأنواع من اللذة تبدو متناقضة أن تشترك فى شئ بخلاف الشعور باللذة وهو صفة الخير؟[٩]

يعترض بروتارخوس بأن لذات الحكيم والمعتدل والأحمق ليست مضادة إحداها للأخرى من حيث إنها كلها لذات، واللذة لا يمكن أن تكون مضادة للذة. يعتمد سقراط فى تفنيده لهذه الدعوى على مقارنة اللذة باللون والشكل. حيث يؤكد أن انتماء هذه اللذات لنفس الجنس لا يمنع لذات معينة من أن تكون متعارضة، مثل الأبيض والأسود اللذين ينتميان كلاهما لجنس اللون.[١٠] بالمثل بالنسبة للشكل فرغم أنه لا يقبل الأضداد، لكن من السهل معرفة أن الدائرة والمثلث مختلفان جدا رغم أن كلا منهما شكل. لا يهتم سقراط هنا

---

7 Philebus, 11d-12a.
8 Ibid., 12c-d.

* فيما يتصل بمشكلة الوحدة والكثرة فى "فيليبوس" يمكن الرجوع إلى:

- Philebus, 15d-17a.

9 Butler, J.E., "Pleasure's Pyrrhic Victory: An Intellectualist Reading of the Philebus", in Oxford Studies In Ancient Philosophy, ed. by David Sedley, Vol.33, Oxford University Press, Oxford, 2007, pp.93-94.
10 Bossi, B., How consistent is Plato with regard to the "unlimited" character of pleasure in the Philebus? in "Plato's Philebus, Selected Papers From The Eighth Symposium Platonicum", ed. by John Dillon & Luc Brisson, International Plato Studies, Vol.26, Academia Verlag, 2010, p.124.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمنزلة الميتافيزيقية لمفهوم اللذة فهو يظل لاأدريا تماما من هذه الناحية. إنه لا يعترف بمثال للذة ولا ينكر وجود مثل هذا المثال، وإنما يهتم فقط بإنكار أن الخير ملازم للشعور باللذة. وهكذا فإن السؤال الذى يوجهه سقراط فى النهاية إلى بروتارخوس: ما المتشابه بين اللذات الخيرة والسيئة يجعلك تطلق على كل اللذات أنها خير؟[١١]

يعترض بروتارخوس مرة أخرى موجها السؤال لسقراط: هل تعتقد أن من يضع فكرة أن اللذة هى الخير سيقبل بأن تكون بعض اللذات خيرا وبعضها شرا؟ ولكى يتجنب سقراط انهيار المناقشة يفترض أيضا أن كل صور المعرفة يبدو أنها تكون كثرة، وأن بعضها يبدو مختلفا عن البعض الآخر. ويحث بروتارخوس على ألا ينكر التنوع الذى يكشف عنه الخير سواء اللذة أو الحكمة، ومواجهة إمكانية أن يتبين بالبحث أن أحدهما أو شئ ثالث هو الخير. وأنه وسقراط يجب ألا يتنافسا من أجل أن يثبت كل منهما وجهة نظره، وإنما أن يوحدا جهدهما لمصلحة ما يكون الأقرب للحقيقة أيا ما كان.[١٢]

يسأل سقراط كيف يمكن لكل من المعرفة واللذة أن تجمع بين الوحدة والكثرة؟ هل هناك صور للذة؟ وإذا كان كم عددها؟ وما أنواعها؟ وكذلك بالنسبة للحكمة. لكن سقراط لا يستكمل السير فى هذا الطريق متبعا وسيلة أخرى لحسم هذا الصراع.[١٣] يوضح سقراط أنه قد تذكر عن طريق الإلهام شيئا يمكن أن يساعدهما: بعض المناقشات التى سمعها منذ زمن طويل، أو ربما كان الأمر حلما، محصلته أنه ليست اللذة ولا الحكمة هى الخير، لكنه شئ ثالث أفضل من كليهما. وأنه إذا اتضحت لهما هذه الرؤية فسينتهى الأمر بهزيمة اللذة لأنها لن تكون مماثلة للخير. لذلك لا توجد حاجة لاستخدام أدوات لتمييز الأشكال المختلفة من اللذة لأن الأمر سيتضح باستمرار المناقشة.[١٤]

يتقدم سقراط بهذه المبادرة للقبول بخليط من اللذة والمعرفة كأفضل حياة للإنسان، وليتجنب الاستمرار فى تناول مشكلة وحدة وكثرة كل من اللذة والمعرفة. وقد اعتبر البعض هذه المبادرة المفاجئة من جانب سقراط سببا للشك فى جدية قبوله لهذه التسوية، خصوصا لاستناده فيها ربما إلى "حلم" ما، وعلى الرغم من تأكيده السابق لأهمية المعالجة المنظمة لوحدة وكثرة اللذة والمعرفة.[١٥]

---

(11) Butler, J.E., Op. Cit., p.94.
(12) Philebus, 13b-14b.
(13) Butler, J.E., Op. Cit., p.96.
(14) Philebus, 20b-c.
(15) Frede, D., Op. Cit., p.5.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخير فى الحياة المختلطة:

يقترح سقراط ويوافقه بروتارخوس أن للخير بالضرورة ثلاث خصائص: فلابد أن يكون نهائيا τελεος، وكافيا ικανος، وجديرا بالاختيار αιρετος: أى أن يتعقبه كل من يعرفه ويتوق لامتلاكه ولا يعير انتباها لأى شئ آخر ما لم يتضمن خيرا ما.[١٦] يدفع هذا سقراط ليسأل بروتارخوس ما إذا كان يرغب أن يعيش حياته كلها متمتعا باللذات الأعظم دون أن ينقصه شئ آخر. ويرد بروتارخوس أنه لن يحتاج شيئا على الإطلاق. فيسأله سقراط: ألن يكون لديه حاجة على الإطلاق للحكمة والمعرفة والقدرة على الحساب وغيرها؟ فيرد بروتارخوس بأنه إذا كان يمتلك المتعة فهو يمتلك كل شئ.[17]

يوضح سقراط أنه إذا لم يكن لديه ذاكرة أو معرفة أو رأى صائب، فلن يعرف ما إذا كان يتمتع أو لا، لن يمكنه أن يتذكر أنه استمتع وقتا ما بما أنه يفتقد الذاكرة، أو أن يحكم أنه كان يستمتع بما أنه يفتقد القدرة على الحكم الصائب، أو أن يتنبأ بلذات المستقبل بما أنه يفتقر إلى القدرة على الحساب. لن تكون حياته حياة إنسان بل حياة حيوان رخوى. ويتساءل: هل هذه حياة تستحق الاختيار؟ ويعجز بروتارخوس عن الرد قائلا إن حجة سقراط قد أفقدته النطق تماما.[١٨]

تكشف هذه الحجة من وجهة نظر Butler عن أن المعرفة علة اللذة، فهى تعتمد أنطولوجيا على المعرفة أو النشاط العقلى، مما يضع التابع لمذهب اللذة فى موقف مستحيل. إن أى ادعاء لأهمية اللذة يدعم فى نفس الوقت أهمية المعرفة، وأى زيادة فى اللذة تتطلب زيادة فى النشاط العقلى. والنتيجة أنه لا يمكن للذة أن توجد ولا أن يكون لها منزلة ما فى الحياة البشرية فى غياب المعرفة والعقل، ولا يمكن أن تعد نوعا مستقلا من الأشياء يحتاج لإنقاذه من المنزلة المنحطة.[١٩]

أما Cooper فيتبنى وجهة نظر أكثر اعتدالا حيث يرى أن سقراط يدافع فى هذه الحجة عن أهمية العقل بصورة مستقلة عن أى علاقة له بالحصول على اللذة، وأن القدرات العقلية مطلوبة بالإضافة إلى اللذة إذا كان للحياة البشرية أن تكون حياة سعيدة. وأن بروتارخوس وإن استند فى اعترافه بقيمة العقل إلى أنه يتيح استخدام القدرات العقلية

---

(16) Philebus, 20d.
(17) Ibid., 21a-b.
(18) Santas, G., Plato On Pleasure as the Human Good, in a Companion To Plato, ed. by Hugh H. Benson, Blackwell Publishing Ltd., 2006, p.315. & Philebus, 21b-d.
(19) Butler, J.E., Op. Cit., pp.106-107.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيما يتصل بلذات الحاضر والماضى والمستقبل، فإن رد فعله يكشف مع ذلك أنه يعترف بقيمة أخرى ذاتية فى العقل نفسه، وإن لم يصرح بسبب قبوله للحجة.[٢٠]

وأعتقد أن سقراط يدافع فى هذه الحجة عن قيمة العقل بطريقة تقنع أتباع مذهب اللذة مثل بروتارخوس بأنه لا وجود للذة دون العقل. وأن هذا لا ينفى من ناحية أخرى أن أصحاب المذهب العقلى مثل سقراط يؤمنون بالقيمة الذاتية للعقل بصورة مستقلة عن ارتباطه باللذة. لكن سقراط لن يطمح فى هذه المرحلة المبكرة من النقاش أن يقنع بروتارخوس بقيمة العقل فى حد ذاته.

وقد أُعترض بأن تجريد سقراط أو فصله لكل المعرفة: الذاكرة، والاعتقاد، والوعى باللذة الحاضرة، والحساب بصدد لذات المستقبل، من حياة اللذة أمر غير واقعى لا يمكن إجراؤه أبدا حتى مع أكثر التكنولوجيا تقدما. من ناحية أخرى هل يمكن للمرء أن يشعر باللذة دون أن يكون عارفا أو واعيا أنه يشعر باللذة؟ إن إمكانية حياة بأكملها من الشعور باللذات دون أن يكون المرء على وعى أو معرفة بهذه اللذات، ربما لا يمكن تمييزها عن حياة معدومة اللذات.[٢١]

على أية حال فإنه بالموازنة بين حياة اللذة وحياة المعرفة استنادا لخصائص الخير الثلاث يتفق الطرفان أن حياة من لا شئ سوى اللذة، إذا فهمت على أنها تستبعد كل ذاكرة اللذات الماضية، وكل توقع للذات المستقبل، وحتى الوعى باللذة الحاضرة، لن تتصف بأى من هذه الخصائص، ولن تكون جديرة بالاختيار من جانب أى إنسان. ويتفقان كذلك أن حياة العقل والحكمة والمعرفة والذاكرة بلا نصيب من اللذة لن تكون جديرة بالاختيار أيضا. وأن كل شخص سيفضل بالتأكيد حياة هى خليط من المعرفة واللذة على أى منهما مستقلا عن الآخر.[٢٢]

وعلى الرغم من أن سقراط يقدم الخصائص الثلاث كمعايير أو شروط مستقلة للخير، فإنه يقدم حجته فى خطوتين فقط: بما أن حياة اللذة تحتاج شيئا آخر بخلاف اللذة، وحياة المعرفة تحتاج شيئا آخر بخلاف المعرفة والعقل، فالنتيجة أنه لا هذه ولا تلك جديرة بالاختيار. يمكن القول إذن إن سقراط يجادل من عدم كفاية هاتين الحياتين إلى عدم جدارة

20 Cooper, J.M., Knowledge, Nature and the Good, essays on ancient philosophy, Princeton University Press, Princeton & Oxford, 2004, p.275.
21 Santas, G., Op.Cit., p.316.
22 Hackforth, R., Op. Cit., pp.31-32.
& Vogt, K.M., Op. Cit., p.253.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل منهما بالاختيار، أى أنه يربط بين معيارى الكفاية وجدارة الاختيار: تكون الحياة جديرة بالاختيار فقط إذا كانت كافية. لكن لا يوجد فى حجة سقراط ما يتصل بأن يكون الخير نهائيا، لأنه يفترض ضمنيا أنه إذا كان الخير كافيا فهو أيضا نهائى. إن أى خير لا يتصف بالكفاية يكشف بالتالى أنه لا تزال هناك غاية أخرى وراءه لم تتحقق بعد.[٢٣] لا يمكن إذن لحياة اللذة أو حياة المعرفة أن تكون كافية إذا كانت فى حاجة لأن تكتمل بالأخرى، ولا أن تكون تامة أو نهائية إذا تركت من يملكها غير راض بعدم تحقيقه لكماله أو غايته τελος. والنتيجة أن كلا من الحياتين المرفوضتين لأنها غير كافية وبعيدة جدا عن أن تكون تامة فإنها غير مرغوبة أو ليست جديرة بالاختيار.[٢٤]

إن حياة اللذة دون أى إدراك يمكن أن تكون الخير لحيوان أدنى وليس للإنسان، بينما حياة المعرفة دون لذة أو ألم تكون الخير لإله وليس للإنسان. أما الخير البشرى فهو خليط من المعرفة واللذة. وفيما تبقى من المحاورة يحاول سقراط اكتشاف أى شئ سيحتل المرتبة الأولى، الثانية، الثالثة وهكذا فى الحياة المختلطة.[٢٥] يصل الطرفان إلى هذه النتيجة مبكرا بما يعنى هزيمة مذهب اللذة فى صورته المتطرفة. ويكون الهدف من المناقشة اكتشاف أى عامل هو الأكثر مسئولية عن خير تلك الحياة: المعرفة أم اللذة؟ وهى المهمة التى تكتمل بالترتيب النهائى للخيرات.[٢٦]

يمكن القول إن أفلاطون بمناقشته للكمال والكفاية وجدارة الاختيار لم يعد يبحث عن الخير الأسمى، وإنما أصبح يهتم بالحياة البشرية وأشكالها المختلفة، بغرض التأكيد على أن العديد من الأشياء تبرز فيها، وأن الحياة الخيرة لابد أن تتكون من النوع الصحيح من الخليط بينهم. إن الحياة المختلطة جيدا هى وحدها التى تستوفى معايير أن تكون نهائية وكافية وجديرة بالاختيار. وبالتالى فإن المناقشة التقليدية للخيرات يحل محلها محاولة فهم مكونات الحياة البشرية المختلطة جيدا، والعلة التى تجعل من خليطهم خليطا جيدا. لذلك لابد للمناقشة أن تتجه إلى العلل، أى إلى ما يتسبب فى أن يجعل حياة هى خليط من عدة أشياء حياة خيرة.[٢٧]

---

(23) Cooper, J.M., Op. Cit., pp.272-273.
(24) Hackforth, R., Op. Cit., p.32.
(25) Santas, G., Op.Cit., p.317.
(26) Frede, D., Op.Cit., p.4.
(27) Vogt, K.M., Op.Cit., p.253.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رغم انتهاء الصراع بين اللذة والمعرفة بفوز الحياة المختلطة باعتبارها تمثل الخير للإنسان، يستمر الجدال حول المكانة الثانية والتى تعنى أنه من بين المعرفة واللذة يجب أن تكون المرتبة الثانية لما يكون العلة αιτιον للحياة المختلطة. إذا لم يكن الخير فى اللذة ولا المعرفة فإنه يمكن افتراض أن أحدهما علة الخير. وسيجادل سقراط أنه أيا ما كان الشئ الذى بوجوده تصبح الحياة المختلطة جديرة بالاختيار وخيرة، فإن العقل يكون أقرب وأكثر شبها به من اللذة.[٢٨]

علة الخير فى الحياة المختلطة:

يحاول أفلاطون إثبات أن العقل أقرب من اللذة إلى العلة التى تجعل الحياة المختلطة مرغوبة وخيرة معا. ومن هنا تبرز الحاجة إلى تخطيط جديد وأسلحة مختلفة، هى فى الواقع حجة أنطولوجية يبين من خلالها وظيفة العقل الكونى كعلة تتحكم فى الكون، ويؤيد بصورة غير مباشرة دعوى تفوق العقل البشرى على اللذة. وتتمثل هذه الحجة فى تصنيفه للموجودات الواقعية إلى أربعة أصناف: اللامحدود والحد والخليط منهما والعلة الكافية للخليط.[٢٩] اللامحدود هو سلب القياس أو الحد، ما لا يمكن التفكير فيه أو معرفته، ما يقبل الزيادة والنقصان بلا نهاية ويستبعد المقدار والكم المعين، وهو فى سلم الوجود أبعد ما يكون عن الجمال والخير، وأقرب إلى الشر واللذة والجهل. أما المحدود فهو المضاد للامحدود*، إنه ما يقبل القياس والنسبة العددية (كالمتساوى والضعف). وهو ما يختلط باللامحدود فينظمه بما يمكن أن تعبر عنه كلمة "القانون"، وهو يعين للأشياء حدودها التى تحتفظ بها فى حالتها الطبيعية وتضعها فى مجال الإدراك البشرى. ويمثل الخليط من اللامحدود والحد الصنف الثالث والذى نجد فيه فكرة الخير الناتج عن القياس والنسبة ومن ثم نجد فيه الجمال؛ فالخير الذى يظهر فى صورة القياس والتناسق يصبح الجمال. أما

---

(28) Butler, J.E., Op. Cit., p.97.

ارجع إلى:

- Philebus, 22d.

(29) Hackforth, R., Op. Cit., p.36.

(*) يمكن وصف التصور اليونانى للامحدود بصورة أكثر دقة باعتباره غير "المعين". إن اللامحدود بالنسبة لنا تال على المحدود وليس سابقا عليه، يعبر ليس عن الفراغ المطلق أو السلب، لكن فقط عن إزالة الحد أو الضبط، والذى يفترض وجوده بعد أن تكون حدود الفكر والمادة قد وضعت بالفعل وليس قبل ذلك. من هنا يبدو أن اليونانيين والمحدثين يقفان على طرفى نقيض فى طريقة النظر إلى المحدود واللامحدود.

- Jowett, B., in his introduction to Philebus, in "The Dialogues Of Plato", translated with analysis and introduction by B. Jowett, vol. III, 4th ed., The Clarendon Press, Oxford, 1953, p.538.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العنصر الرابع والأعلى فهو علة الخليط من الحد واللامحدود والذى إليه ينسب أفلاطون نظام العالم.[٣٠]

تبرز الحاجة إلى هذه المبادئ الأربعة من أجل تعيين المواضع النسبية لكل من اللذة والمعرفة. إذ لابد قبل تحديد تفوق المعرفة أو اللذة فى الحياة المختلطة، من اكتشاف وترتيب المبادئ العامة للأشياء.[٣١] تقع الحياة المختلطة من اللذة والمعرفة فى فئة الخليط، بينما تنتمى اللذة إلى اللامحدود، لكن بينما يرى فيليبوس أنها لا يمكن أن تكون خيرا إذا لم تكن بلا حدود فى الكم والدرجة، يجد سقراط أن الألم أيضا لن يكون شرا إذا لم يكن كذلك، ومن ثم لابد من البحث عن شئ آخر بخلاف لامحدودية اللذة يجعلها تشارك فى الخير (وهو ما يرجئه لوقت لاحق). أما عن موضع العقل والمعرفة والحكمة فيزعم سقراط أن كل الحكماء يتفقون أن العقل ملك السماء والأرض، ويسأل ما إذا كان أسلافنا محقين فى ادعاء أن الكون يحكمه نظام عقلى رائع، أم أنه خاضع لعشوائية الصدفة واللاعقلانية؟ ويجيب بروتارخوس مؤكدا أن العقل يرتب الأمر كله يدل على ذلك نظام الشمس والقمر والنجوم. عند هذه النقطة يظهر أن العقل بمقتضى تحكمه وترتيبه ينتمى إلى صنف العلة.[٣٢]

ينتقل سقراط بعد ذلك إلى تحليل لبنية الكائنات البشرية. ويرى أن تركيب جسم الإنسان الفرد من العناصر الأربعة: الماء والهواء والنار والتراب، إنما هو انعكاس لتركيب الكون من نفس العناصر. ويقصد من ذلك أن يثبت التماثل الدقيق بحيث يمكنه الانتقال إلى الحديث عن الكون المنظم كجسم (كما أن اتحاد عناصرنا المماثلة يكون جسما). وينتقل من ملاحظة أن للجسم البشرى نفسا إلى ضرورة أن يكون للعالم ككل نفس هى المصدر للنفس البشرية. وبصورة أكثر تعيينا لابد أن يكون للعالم ككل علة منظمة، كما أن من بين العناصر الأربعة للوجود (اللامحدود والحد والخليط والعلة) يكون للعلة القدرة على أن تدخل فى كل الأشياء فتعطى الجسم البشرى النفس، والنظام، والصحة. وتكون هذه العلة الكونية مصدر النظام والترتيب للسنوات والفصول والشهور ويمكن أن

---

(30) Jowett, Op. Cit., pp.537-539.

- وبصدد مناقشة سقراط للامحدود والمحدود والخليط منهما يمكن الرجوع إلى:

- Philebus, 23c-26d.

(31) Jowett, B., Op. Cit., p.540.

(32) Philebus, 27d-28e.

وكذلك: Butler, J.E., Op. Cit., pp.104-105.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسمى العقل والحكمة. وهو ما يتفق مع رأى السابقين من الحكماء أن العقل يحكم الكـــون. يتضح بالتالى أن العقل أقرب إلى العلة وهو جزء من هذه الفئة.[٣٣]

يصل سقراط إلى أن العقل الذى أسماه الحكماء قديما ملك الأرض والسماء يتمكن- عن طريق القياسات المتحققة بمساعدة الحد- من الكشف عن الأزلى والتـــام فـــى مجـــال الكون، ويكون العلة المتحكمة فى الخليط من اللامحدود والحد، أى العلة الكلية أو الكونيـــة لكل ما يأتى إلى الوجود. وإذا كانت هذه العلة الكونية عقلا يعمل من أجل غايات خيـــرة، يكون هناك أساس لتقرير أن عقل الإنسان كمكون للحياة المختلطة للفرد، أكثر شبها بعلـــة خير تلك الحياة من اللذة. والنتيجة ليس أن عقل الإنسان يجعل الحيـــاة المختلطـــة خيـــرة، وإنما أن العقل الكونى هو الذى يفعل ذلك بعمله كعلة كافية خارجية، تفرض الحـــد علـــى اللامحدود وتعطى تلك الحياة انسجامها.[٣٤]

تعتمد الحجة على الموازاة بين العالم الصغير أو الإنسان والعالم الكبير أو الكـــون. إذا لم يُذكر صراحة فإنه يُفهم ضمنيا أن العقل البشرى يشتق من العقل الكـــونى ومعتمـــد عليه، تماما كما تشتق أجسام البشر من جسم الكون، وأنفسهم من نفسه. لا يذكر أفلاطـــون كيف يدرَك هذا الاشتقاق أو الاعتماد، ولا يصرح بأن العقل البشرى جزء من الإلهى، لكن التصور المسيطر لديه هو تصور القرابة أو المشابهة. وهكذا تكون علة الخير فى الحيـــاة المختلطة مزدوجة: باستخدام مصطلحات أرسطو فالعلة الصورية هـــى العلاقـــة الكميـــة الصائبة بين المعرفة أو النشاط العقلى واللذة، بينما العلة الكافيـــة هـــى العقـــل: بـــصورة مباشرة عقل الفرد، وبصورة نهائية العقل الكونى الذى عليه يعتمد عقل الفرد.[٣٥]

الطبيعة المتناقضة للذة:

يعين سقراط اللذة فى فئة اللامحدود وهو الجنس الذى لا يمتلك بذاته ولن يمتلك أبدا بداية أو وسطا أو نهاية. وما يميز اللذة عن غيرها من أعضاء تلك الفئة أن اللـــذة والألـــم يرتبطان بعمليات من الفساد والتعويض فى بنية الكائن الحى. فعندما يختل الانسجام وتنحل الطبيعة ينشأ الألم، وإذا حدث العكس باستعادة الانسجام واسترجاع الطبيعة السابقة تحـــدث اللذة، كما فى ألم الجوع والعطش ولذة تناول الطعام والشراب.[٣٦] أى أن اللذة على الـــرغم من انتمائها فى المطلق لجنس اللامحدود، فإن أى لذة فعلية لابد أن تكون خليطا من الحـــد

(33) Philebus, 29a-30e. & Butler, J. E., Op. Cit., pp.105-106.
(34) Hackforth, R., p.39 & p.49.
(35) Ibid., p.36& p.50.
(36) Philebus, 31a-e. & Frede, D., Op. Cit., p.7.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واللامحدود. كما هو الأمر بالنسبة لدرجة الحرارة: درجة الحرارة فى المطلق لامحـــدود، لكن أى درجة حرارة فعلية هى درجة معينة محددة.[٣٧]

ولكى يفسر سقراط كيف يلتحق عنصر الخير باللذة يرى أنها لا يمكـــن أن تكـــون لامحدودة بصورة مطلقة، وإنما لابد أن تقبل الحد ومن ثم تنتمى إلى فئـــة الخلـــيط مـــن اللامحدود والحد. حتى أفروديت يقال إنها تعرف كيف أن التجاوز والإفراط فى شـــرنا لا يسمح بأى حد فى لذاتنا وتحقيقها، ولذلك فهى تفرض القانون والنظام كحد عليهـــا. وذلـــك على عكس ما يراه فيليبوس من أن الخير بصدد اللذة أن تبقى بلا حدود، أملا فـــى نمـــو الرغبة بلا نهاية من أجل الإشباع اللامحدود.[٣٨]

إذا كانت أفروديت فى بداية أسطورية للزمن قد فرضت النظام والقانون على اللذة؛ بمعنى أن اللذة تلقت منها دوراتها وحدودها المعينة للإشباع، فلا يمكن أن تظل لامحدودة. ويبدو أنها تلقت عبر الزمن بداية ووسطا ونهاية، إذا جاوزنا حدودها تتحول إلى ألم كمـــا نتعلم سريعا عند الإفراط فى الطعام والشراب. ويعلمنا سقراط أنه عنـــدما يوضـــع الحـــد والقياس فى وجود لامحدود فإن اللامحدودية تتركه، لكن يبدو أنه- لاحقا فى المحاورة - يتمسك بموقفه الأساسى بنسبة اللذة إلى اللامحدود، فكيف يمكن تفسير ذلك؟[٣٩]

يرى Bossi أنه يمكن التوفيق بين الموقفين وتعيين كلا الصفتين للذة، بـــالقول إنـــه رغم أن أفروديت وضعت بعض الحد الجسمى الطبيعى لكل خبرة فردية باللـــذة الحـــسية، كنوع من الإشباع أو الذروة تتوقف بعده اللذة، فمن ناحية أخرى تظل الرغبة فى الـــشعور باللذة لامحدودة، وبالتالى تظل اللذة "فى ذاتها" تقبل الإفراط فى الشدة والتكرار. معنى ذلك أن أنظمة وقواعد الربة لا تمنع أغلب الناس من الذهاب لما هو أكثر، كما تميل الـــشهوات للزيادة والنمو عندما تنمى بإفراط. واللذات الشديدة غير المكبوحة مثال واضح للامحـــدود غير الخاضع للنسبة، والتى من وجهة نظر سقراط تجر الأحمق والمتكبر إلى الفوضـــى. إن الفعل التنظيمى للربة لا يزال يتطلب تحكمنا التالى لإخضاع اللـــذة لقياســـها ونـــسبتها بالنظر إلى الرغبات الأخرى. بخلاف ذلك سنكون مجبرين أن نصبح أخيـــارا محـــدودين بالحد، وهذا غير وارد لأن أفروديت لا يمكن أن تفرض نفسها على زيوس.[٤٠]

---

37 Hackforth, R., p.103.
38 Bossi, B., Op. Cit., pp.123-124.
39 Ibid., p.127.
40 Ibid., Op. Cit., pp.127-128

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن اللذة ليست شرا بالمعنى الإيجابى لكنها شر بالمعنى السلبى؛ من حيث إنها تفتقد التحديد الصائب الذى بدونه لا شئ يكون خيرا. إذا تركت لذاتها فإنها تميل للنمو والإفراط، ولكى تكون حقيقية خالصة ومعتدلة، فلابد أن تخضع لإضافة الحد.[٤١] ترغب اللذة دائما فى أن تنمو أكثر وتبدو بلا اتجاه وفى حاجة للعقل ليعين لها القياس. ومن ثم فإن الفعل التنظيمى للربة ليس مطلق، لكنه يترك ثغرة تنمو من خلالها اللامحدودية وراء الحدود الطبيعية التى تضعها هى ذاتها. إن هذا الفعل التنظيمى الأول لم ينته ويتطلب سيطرتنا الذاتية وتحديدنا الثانى للذة بمقياسها المناسب ونسبتها بالنظر إلى الرغبات والحاجات الأخرى.[٤٢]

إن تعريف اللذة كعملية "تعويض" أو "سد لنقص" لم تكن موضع جدال فى بقية المحاورة؛ لذلك من السهل رؤية لماذا يظهر سقراط اتجاها متناقضا نحو اللذة: إنها ظاهرة ذات جانب جيد وجانب سئ معا. الجانب الجيد أنها ترتبط باستعادة التوازن الصحى، أما الجانب السئ فهو أنها تفترض دائما نوعا من النقص أو الفساد. يتبين هذا من الطريقة التى يعبر بها سقراط عن محصلة بحثه النقدى؛ إذ يؤكد أن اللذة والألم يمكن أن يشاركا مرتبة الحار والبارد وغيرهما من تلك الأشياء التى تكون موضع ترحيب من جانب وغير مرحب بها من جانب آخر؛ لأنها ليست خيرا فى ذاتها لكن يحدث أن يكتسب بعضها أحيانا طابع الخير.[٤٣]

لذات التوقع:

يشير سقراط إلى نوع آخر من اللذات والآلام هى التى تشمل توقع النوع الأول. إذ يحدث أحيانا أن يتوقع المرء حدوث اللذة أو الألم، وهو ما يكون مصدر لذة أو ألم للعقل وحده دون الجسم. والغرض هنا توضيح أن هذه اللذات غالبا ما يصاحبها فى نفس الوقت ألم حاضر، وأنها بذلك تكون نوعا مما يسمى باللذات المختلطة. وأحد أهداف أفلاطون فى المحاورة أن يبين أن أنواعا عديدة من اللذة مختلطة أو غير خالصة، ولذلك لا تستحق مكانا بين مكونات الخير البشرى. يتضح هذا النوع من اللذات المختلطة بالكشف عن إسهام الذاكرة والرغبة والإحساس فى حدوث لذات التوقع.[٤٤]

---

(41) Hackforth, R., Op. Cit., p.103.
(42) Bossi, B., Op. Cit., p.128.
(43) Frede, D., Op. Cit., p.7.
وأيضا: - Philebus, 32d.
(44) Hackforth, R., Op. Cit., p.69. & Philebus, 32b-c.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليست كل عملية انحلال أو تعويض مؤلمة أو مصدر لـــذة، وإنمـــا فقـــط عمليـــات الانحلال والتعويض القوية بما يكفى للتأثير فى النفس أو العقل هى التـــى تحـــدث اللـــذة والألم. أما التغييرات التى تظل غير ملحوظة فهى ليست مصدر لذة ولا ألم.[٤٥] لا يـــدرك العقل تلك التغييرات التى لا تتعدى حدود الجسم، أما عندما يشترك الجـــسم والعقـــل فـــى معاناة شئ فهذا هو الإحساس. والذاكرة هى الاحتفاظ بالإحساس، والتذكر استعادة العقـــل بذاته لذاكرة خبرة حسية سابقة. أما الرغبة فيوضح سقراط أن المرء يرغـــب دائمـــا فـــى الحالة المضادة لحالة الألم الجسمى، كما يرغب فى تناول الطعام والشراب عنـــد الجـــوع والعطش. وهو ما يحدث عندما يكون المرء فى حالة ألم لكنه يتذكر ويأمل ويرغـــب فـــى الأشياء التى يمكن أن يتخلص من الألم بحدوثها. فى هذه الحالة فإنه يعانى من ألم جسمى ولذة عقلية، أى من شعور مزدوج أو خليط من اللذة والألم.[٤٦]

اللذات الخاطئة:

يبين أفلاطون فى تناوله النقدى للذة الطرق المختلفة للخطأ* بصددها. وقد تعـــرض للنقد مرارا لاستخدامه كلمة "خطأ" فيما يتصل باللذة، خاصة أنه يستخدمها بمعان متعـــددة. لكن لا يجب أن يعتبر هذا اعتراضا جادا؛ حيث إنه يعمم فحسب الطرق المختلفـــة للخطـــأ فيما يتصل باللذة، وليس هناك ما يزعج فى هذا الشأن.[٤٧]

يحدث الخطأ نتيجة انتقال خطأ الحكم وخطأ الصورة العقلية الناشئة عنه إلى اللـــذة. والحكم هو النتاج المشترك للإدراك الحسى والذاكرة والانفعال، ويرجع الحكم الخاطئ إلى عدم تميز الإدراك الحسى. إن تكوين الحكم يتم تصويره بجلاء باعتباره "كتابة قضايا" فى العقل بواسطة كاتب يرمز لمركب الإدراك الحسى والذاكرة والانفعال. لكـــن بـــين هـــذا وحدوث اللذة يدرج أفلاطون الصورة العقلية εικων عمل الرسام الذى يرمز للقدرة التى يطلق عليها أرسطو الخيال φαντασια أو صنع الصورة. وإذا كانـــت الـــصورة لـــشئ

(45) Frede, D., Op. Cit., p.7.
(46) Philebus, 33d-36b.
(*) يعتقد المحدثون خصوصا منذ هيوم أنه يمكن تطبيق الصحة والخطأ على الحالات النفسية التى تمثـــل شـــيئا كالاعتقادات والتوقعات والذكريات، فقد تكون هذه صحيحة أو خاطئة بالمقارنة بالحقائق التى تمثلها. لكـــنهم يرون أن اللذة والألم ليسا كيانات نفسية تمثيلية، إنهما لا يمثلان شيئا يمكن بالمقارنة به أن يكونا صحيحين أو خاطئين. قد يتفق أتباع هيوم وأتباع مذهب اللذة أنه يمكن الخطأ فى توقع اللذة وفى ذاكرة اللذة، لكـــن تلـــك مسألة مختلفة إذ لا تبين مثل هذه الحالات أن اللذات ذاتها يمكن أن تكون خاطئة، لكن فقط أن هذه اللذات لم تحدث فى الواقع. - Santas, G., Op. Cit., p.321.
(47) Frede,D., Op. Cit., p.7.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسرنا تنتج اللذة، وقد تكون الصور - كالأحكام - للماضى أو الحاضر أو المستقبل، وقد تتطابق مع الواقع أو تفشل فى التطابق، بحسب ما تكون الأحكام التى تتبعها صحيحة أو خاطئة.[٤٨]

وعلى الرغم من أن كيف اللذة باعتبارها صحيحة أو خاطئة يعتمد على كيف الحكم، فإن سقراط يرى مع ذلك أن اللذة ذاتها تمتلك هذا الكيف. إن الأحكام بحسب ما تكون خاطئة أو كاذبة "تنقل عدوى" ما "أصابها" هى ذاتها إلى الآلام واللذات. ويقترح أن اللذات الخاطئة من هذا النوع سيئة بمعنى أخلاقى؛ فالأخيار لكونهم أعزاء لدى الآلهة لديهم فى عقولهم قضايا وصور صحيحة، والعكس لدى الأشرار. يتضمن هذا أن هناك أنواعا أخرى من الحكم الخاطئ بخلاف الذى يُرد إلى الإدراك الحسى غير المتميز. لاشك أن أفلاطون يشير إلى أحكام القيمة الخاطئة التى تنبع ليس من ضعف أعيننا الجسمية لكن من عمى رؤيتنا الروحية. إن الإنسان المحبوب من الآلهة يحذو -كسقراط نفسه- حذو الإله، ومن ثم يُنعم عليه بالحكم الصحيح ويشفى من العمى الروحى.[٤٩]

يحاول أفلاطون هنا تعريف اللذات الشريرة بصورة ما من صور الخطأ، ويؤكد أن مصطلح "خطأ" يمكن أن ينطبق عليها. وهو فى هذا إنما يطبق بطريقة مشوشة المبدأ السقراطى "الفضيلة علم والرذيلة جهل"، ولا يميز بين اللذات والآراء الخاطئة التى تقوم عليها.[٥٠] ويبين بذلك أن اللذات تعتمد على عمليات عقلية، فهى تستند إلى أحكام أو آراء، أى تعتمد فى وجودها على العقل وليس لها منزلة مستقلة.[٥١]

ينشأ الخطأ كذلك من التقدير الزائف لمقدار اللذة أو شدتها وهو ما يحدث فى الغالب عند مقارنتها بألم مصاحب لها. فاللذة والألم يمكن أن يحدثا معا؛ حيث يكون أحد الشعورين لذة حاضرة أو ألما حاضرا مصدره الجسم، بينما يكون الآخر -كما تبين فيما سبق- توقعا عقليا للذة أو ألم. ويميل المرء للمبالغة فى الشعور الحاضر والتقليل من قيمة شعور التوقع. أيضا عندما يصبح الشعور المتوقع شعورا حاضرا، يظهر أن مقداره قد ازداد بالنسبة لما كان فيما سبق لذة أو ألما حاضرا. فى كل هذه الحالات يمكن القول إن جزءا من الشعور ظاهر وليس حقيقيا؛ ولا يمكن إيجاد المقدار الحقيقى له إلا بطرح هذا الجزء الوهمى وهو

---

(48) Hackforth, R., Op. Cit., pp.72-73.
يمكن الرجوع إلى: -Philebus, 39a-e.
(49) Hackforth, R., Op. Cit., pp.72-73. & Philebus, 39e-40c.
(50) Jowett, B., Op. Cit., p.541.
(51) Butler, J.E., Op. Cit., pp.111-112.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما يستحيل تحقيقه. ويرجع هذا الخطأ فى التقدير إلى الطبيعة اللامحدودة للذة والألم؛ مما يتطلب أن تخضع للتحديد الرياضى الدقيق من أجل تجنب هذه الأخطاء.[٥٢]

الخلط بين اللذة والحالة المحايدة:

يحدث الخطأ أيضا نتيجة عدم الاعتراف بوجود حالة محايدة تخلو من اللذة والألم. فإذا كان الألم يحدث عند اختلال الحالة الطبيعية واللذة عند استرجاعها، فلابد أن هناك حالة محايدة تخلو من اللذة والألم عند عدم حدوث أى من العمليتين. وإذا أُعترِض بطريقة الهرقليطيين أن إحدى العمليتين أو الأخرى لابد أنها تحدث دائما لأن كل شئ فى تغير مستمر. فإنه يمكن تجنب هذا الاعتراض بأنه ليس كل كائن حى يكون على وعى بما يحدث له من تغير، وأنه لن يشعر باللذة أو الألم إلا عندما يعى بتغيرات ذات مقدار أو شدة، أما فى حالة التغيرات الصغيرة فيكون الشعور محايدا. وهذا الشعور المحايد و"الحياة الوسطى" المطابقة له يخطئ البعض فى اعتباره لذة.[٥٣] إن إمكانية وجود هذه الحياة المحايدة تجعل بعض الفلاسفة يخلطون بين اللذة والخلو من الألم، ورغم اعتقاد أفلاطون فى خطئهم فإن هذا لا يبطل وجود مثل هذه الحياة وأنها يمكن أن تعتبر خيرا.[٥٤]

وقد أشار سقراط أكثر من مرة فى المحاورة إلى إمكانية وجود هذه الحالة الثالثة التى ليست لذة ولا ألما. ويؤكد أنه لا شئ يمنع مَن يحيا حياة العقل من هذه الحالة المحايدة التى تخلو من اللذة والألم. ولا يثير الدهشة أن تكون هذه الحياة الأكثر شبها بحياة الآلهة من كل حياة أخرى. ويعتقد أنه إذا لم يكن بإمكانهم اعتبار هذه الحالة المحايدة ضمانا لفوز المعرفة بالمرتبة الأولى، فإنه يحق لها أن تحصل على المرتبة الثانية (بعد الحياة المختلطة).[٥٥] ويهتم أفلاطون بإثبات حقيقة هذه الحياة المحايدة ضد أولئك الذين عرفوها إما باللذة أو بالألم. ومن هنا فهو يتفق مع سبوسيبوس خليفته الذى وضع فيها الخير البشرى، معتقدا أن كلا من اللذة والألم شر مضاد للآخر وللخير. لكن أفلاطون لا يفترض أن هناك بالفعل حياة محايدة μεσος βιος بمعنى حياة كاملة لا يعانى فيها الإنسان اللذة ولا الألم، وإنما يشير ضمنيا إلى أنها ذات حدوث متكرر، وأن الخير فى الحياة المختلطة μεικτος βιος.[٥٦]

---

(52) Hackforth, R., Op. Cit., pp.77-78.
(53) Philebus, 42c-43e. &Hackforth, R., Op. Cit., p.81.
(54) Frede, D., Op. Cit., p.8.
(55) Philebus, 32e-33c.
(56) Hackforth, R., Op. Cit., pp.82-83.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لماذا ينكر أفلاطون إذن حالة النقاء لمصلحة تسوية تتمثل فى الحياة المختلطة؟ تكمن الإجابة ببساطة فى أنه يدافع عن حياة مختلطة ليس لأنها أفضل حالة يمكن تخيلها، ولكن لأنها الحالة الأفضل التى يمكن للإنسان الحصول عليها. إنه يؤكد أن البشر عرضة دائما لعمليات من النقص والتعويض، ولهذا فهو على درجة من الوعى بأن هذه "الحالة المحايدة" لن تخرجه من المياه الهرقليطية، حتى لو أتيح للبشر ألا يشعروا بأى اضطراب لفترة طويلة، فإنهم معرضون باستمرار لمثل هذه التغيرات، ولا يجب الخلط بين هذه الحياة غير الثابتة والحياة الإلهية التى تخلو من الاضطراب والتغير. لذلك فمع العلم بالنقص الذى تتسم به الحالة البشرية يمكن النظر إلى بعض اللذات على أنها خيرات نسبية على الأقل.[٥٧]

من ناحية أخرى فإن مجرد الاحتفاظ بتلك الحالة المحايدة سيصل بالمرء إلى حياة فاترة منحصرة فى الذات؛ لأن عدم وعى من يمتلكها بعيوبه ونقصه يفقده الحافز للتحسين من نفسه وحالته. لا يمكن أن تكون هذه النقطة قد فاتت أفلاطون، ومن ثم فإن لديه أسبابا جيدة لتفضيل حياة مختلطة على حياة محايدة تتضمن أوجه نقص غير معترف بها. إن تفضيل أفلاطون لحياة مختلطة يقوم إذن على منظور إيجابى أكثر من الاعتقاد المؤلم فى الاحتفاظ للأبد بالنقص البشرى. لهذا لم يعد سقراط ينادى- كما فعل فى "جورجياس"- بأن أفضل أسلوب هو عدم إشباع حاجات المرء ورغباته.[٥٨]

إن الحياة الإنسانية حتى فى أفضل حالاتها كفاح مستمر للاكتمال الذاتى وحفظ الذات يؤكد عليها فى "المأدبة" و"فيدروس" بوضوح أكثر من فيليبوس. إن النقص وعدم الثبات الملازمين للحالة الإنسانية أساس محاضرة "ديوتيما" عن طبيعة الحب، فالحب كما تراه مصدر الإبداع لكل الكائنات البشرية، وهو يقود أفضلهم إلى قمة سلم الحب. بصورة مشابهة فإن الرحلة السماوية فى "فيدروس"* تدل على أن أفلاطون يعتبر الحياة التى

57 Frede, D., Op. Cit., p.11.
58 Ibid., p.11.

* المقصود بها حديث أفلاطون فى "فيدروس" عن النفس التى صورها جوهرا مركبا، وشبهها بعربة ذات جوادين وسائق زودوا جميعا بالأجنحة، وكيف كانت هذه النفس تعيش فى البدء فى مكان ما يعلو السماء، تتأمل مثل الجمال والحق والخير، وتساعدها طبيعتها المجنحة على التحليق فى موكب يقوده زيوس، وينقسم الموكب إلى أحد عشر فيلقا على رأس كل منها إله. وتتعرض النفوس البشرية للاضطراب بفعل العنصر الجامح غير العاقل، ويختل توازنها فتسقط فى جسم إنسانى، تتفاوت منزلته بحسب نصيب كل نفس من المعرفة بالحقائق المثالية وقدرتها على تذكرها. ومن يلجأ إلى الاستخدام السليم لوسائل التذكر هو وحده الذى يمكنه بلوغ الكمال الحقيقى. إنه من تنصرف نفسه عن الاهتمام بما يشغل الناس وتتعلق بما هو إلهى، فإذا صادف جمالا أرضيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنقضى فى طلب الاكتمال الذاتى تلهمها الرغبة فى الجمال، وسيلة لتحقيق المثل الأعلى للطبيعة البشرية. لذلك فإن التحريض عن طريق الرغبة ولذة إنجازها، مفضلين على التمسك بحالة محايدة تخلو من اللذة والألم، وتفتقر إلى الوعى بأوجه قصورها.[٥٩]

لا يتفق أفلاطون إذن مع المعارضين بقسوة لمذهب اللذة الذين يعتقدون أن السكينة أفضل حالة يمكن تخيلها، ليس فقط لتصورهم الخاطئ عندما يخلطون بين اللذة والتحرر من الألم، وإنما أيضا لأنهم يفترضون خطأ ضرورة تجنب اللذة تماما. وعلى هذا فإن التزاوج بين العقل واللذة فى خليط الحياة لا يمثل وجودا مشتركا صعبا؛ يتم فيه تحمل اللذات طالما أنها تهذب من نفسها وتترك العقل بلا اضطراب، ولكن اللذة تقبل كمكون هام للحياة البشرية، فهى جزء لا ينفصل من العمليات التى تحفظ الحياة الإنسانية وتحسن منها أيضا.[٦٠]

اللذات المختلطة:

بعد تمييز أنواع ثلاثة من اللذات الخاطئة يبدو كما لو أنه لا توجد أى لذة صحيحة أو حقيقية. هذا ما يعتقد فيه بعض المفكرين الذين يصفهم سقراط بأنهم الأعداء الحقيقيون لفيليبوس، وأنهم ذوو شهرة فى العلم الطبيعى. هؤلاء من ينكرون وجود حالات ثلاث ويعترفون فقط باثنتين: الألم والتخلص من الألم. لا يقبل سقراط وجهة نظرهم لكنه يتعاطف معها لأنهم يعتبرون اللذة أمرا غير صحى. تستند حجتهم إلى مبدأ فحص اللذة فى أشد حالاتها؛ لأنه من المحتمل أن يكشف هذا أكثر عن طبيعتها الحقيقية. إن اللذات الأشد هى لذات المريض سواء فى الجسم أو النفس. تختلط هذه اللذات بالألم، وقد يكون الخليط بأكمله فى الجسم، أو بأكمله فى النفس، أو فى كليهما معا. فيما يخص اللذات المختلطة ذات الأصل الجسمى: يوضح سقراط أولا تلك الحالات التى يسيطر فيها الألم، وثانيا تلك التى تسيطر فيها اللذة، والتى تعد المتعة المفرطة لها علامة الحمق والخلاعة.[٦١]

يذكره بالجمال الحقيقى المثالى، الذى هو أقرب الماهيات للنفس الإنسانية وأكثرها وضوحا لها. ولما كانت كل نفس تتبع فى العالم السماوى إلها، فإنها تتطلع فى حياتها الأرضية إلى محبوب له صفات الإله الذى كانت تتبعه. وينعكس الحب من المحبوب إلى المحب حتى ينتهى بهما تبادل الحب إلى غاية مثالية واحدة هى الفضيلة والرغبة فى العالم الإلهى الخالد، فتستعيد النفس طبيعتها الإلهية وتتحقق الغاية بالوصول إلى عالم الحقائق المثالية التى هى الجمال الحقيقى والخير الأقصى.

- محاورة فيدروس لأفلاطون أو عن الجمال: ترجمة وتقديم أميرة حلمى مطر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩، ٢٤٦-٢٥٠، وص٢٥-٢٧ من مقدمة المترجمة.

(59) Frede, D., Op. Cit., p.11.
(60) Ibid., p.12.
(61) Philebus, 44b-45d. & Hackforth., R., pp.85-86.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بجانب اللذات والآلام المختلطة ذات الأصل الجسمى، توجد لذات وآلام الجسم والنفس معا، وكذلك لذات وآلام النفس وحدها. يشير إلى النوع الثانى بإيجاز وهو الذى يحدث عندما يتلازم توقع سار مع ألم النقص العضوى. أما النوع الثالث فيثير اهتمام أفلاطون بشكل خاص، حيث يفرد لشعور أو انفعال الحقد φθονος معالجة خاصة، وإن اقتصرت معالجته فى الأغلب على نوع معين من الحقد هو الذى يشعر به عند سوء حظ شخصية كوميدية على المسرح.[٦٢]

يعتبر الحقد بصورة عامة انفعالا خاطئا وإن تضمن التلذذ بمشكلات أو أوجه قصور الآخرين. وحيث إنه لا يوجد خطأ فى الابتهاج لمشكلات الأعداء؛ فإن ضحية الحقد لابد أن يكون صديقا. يبدو أن أفلاطون ينتقل بقوله هذا من المسرح إلى الحياة الحقيقية- فشخصيات المسرح الكوميدى ليسوا أصدقاء ولا أعداء- مما يعطى أهمية إضافية لمناقشته لهذا الانفعال. وليس الخطأ فى الانفعال الكوميدى الذى يشعر به المرء، وإنما الخطأ المشحون فى نفس الوقت بالتسلية هو انفعال الحقد الذى يثيره رؤية "صديق" (أى ليس عدوا) متكبر يُحبَط. إنه انفعال مختلط[٦٣] لأن الضحك الذى يبدو بريئا على شخص أحمق فى الكوميديا هو فى الحقيقة عرض لحقده وهو نوع من عدم اللذة. إذا كان المرء فى سلام مع نفسه ومع الآخرين فلن يتسلى لكن بالأحرى يشعر بالشفقة نحو الشخص سئ الحظ.[٦٤]

يلاحظ أن أفلاطون لم يعد يتحدث هنا عن اللذات "الخاطئة" وإنما عن اللذات "المختلطة" أو عن خليط اللذة والألم. ولا يبدو أنه يقصد أى تمييز حقيقى بين زوجى الصفات: خاطئة- صحيحة، مختلطة- غير مختلطة. لأنه عندما يصل إلى مكونات الحياة الخيرة يضمن اللذات الصحيحة أو الحقيقية والخالصة، حيث تنطبق الصفتان على نفس أنواع اللذة. وربما كان سبب تغير المصطلحات أن مصطلح "خاطئة" كان مناسبا أكثر لمشاعر الحالة المحايدة والتى تبين أنها لذات خاطئة. ولو كان قد استمر فى استخدام مصطلح "خاطئة" لأنواع اللذة التى يتناولها هنا، لكان قد جعل المدى الذى يتفق فيه أو يختلف مع هؤلاء المعارضين لمذهب اللذة غامضا. فهو رغم اتفاقه معهم أن مشاعر الحالة المحايدة ليست لذات على الإطلاق، فإن هذا لا يمنع وجود لذات حقيقية.[٦٥] إن

62 Hackforth, R., Op. Cit., p.92.
63 Ibid., p.93.
64 Frede, D., Op. Cit., pp.7-8.
65 Hackforth, R., Op. Cit., p.86.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللذات الخالصة أو غير المختلطة فقط هى التى تستحق اسم "اللـذة"، ولـيس هنـاك فـى الحقيقة ما يعرف "باللذات المختلطة" فما هى إلا لذات خاطئة أو مدعية.[٦٦]

اللذات الحقيقية والخالصة:

تشترك اللذات الحقيقية فى صفة مميزة هى غياب الألم سواء مـلازم أو سـابق أو تال. وتقع فى صنفين بحسب ما إذا كانت مصحوبة أو غير مصحوبة بـإدراك الجمـال. اللذة المصحوبة بإدراك الجمال نوع سام يحدث لرؤية أشكال وألوان بـسيطة، أو لـسماع أصوات موسيقية مفردة (أى نغمات ناعمة واضـحة جميلـة فـى حـد ذاتهـا). وتتـسم موضوعات هذا الصنف بالجمال الحقيقى وليس النسبى، بمعنى أن جمالها ينتمى إليها فـى ذاتها ولا يعتمد على تباين مع شئ قبيح أو أقل جمالا. وإلى الصنف الثانى تنتمـى لـذات الشم وهى أقل قيمة لأنها لا تتضمن إدراك الجمال؛ فلا تمثل موضـوعاتها الوحـدة فـى التنوع، أو التناسق فى كلٍ من الأجزاء.*[٦٧]

أما النوع الأخير للذات الحقيقية فهو لذات التعلم أو المعرفة وتكون مسبوقة بحاجة، ويمكن أيضا أن تعقبها حاجة فى حالة النسيان، لكن الحاجة فى هذه الحالة غير مؤلمـة.[٦٨] إذ يرى سقراط أنه فى حالة تشبع المرء بالتعلم ثم فقده ما تعلم بالنسيان، فلن يترتب علـى هذا أى ألم إلا إذا تأمل المرء فى قيمة ما فقد وتألم نتيجة لذلك. لكن بصرف النظـر عـن هذا التأمل الذاتى فإن فقد الذاكرة فى أمور التعلم لا يصحبها ألم.[٦٩] إنه يفكـر فقـط فـى الحالة التى يستعيد فيها المرء المعرفة المفقودة دون وجود لحالة انعكـاس الجهـل علـى الذات. هناك إذن حاجة أو نقص متضمن فى هذه اللذات، لكن لأنه غير مدرَك فـلا يعـد ألما، وتكون اللذة المصاحبة لهذه الحالة لذة حقيقية وخالصة.[٧٠] بصورة مـشابهة يتحـدث أفلاطون فى "الجمهورية" عن أن ما يتضمن الألم ليس أن يكون المرء فارغا قبل أن يملأ،

---

(66) Butler, J.E., Op. Cit., p.116.

(*) فى "فيدروس" قصر أفلاطون إدراك الجمال على حاسة البصر "أحدّ الحواس" أما هنا فيمتد به إلى السمع، لكن مع كلا الحاستين يحدده بإدراك أشياء ذات طبيعة بسيطة جدا؛ ألوان صرفة، أشـكال منتظمـة، وأصـوات موسيقية مفردة، بينما تستبعد صراحة الكائنات الحية والصور، وكذلك ضمنيا كل منتجات الفنـون الجميلـة وجمال الطبيعة أيضا. كل هذه تعد جميلة بصورة نسبية بمعنى أنها تصل إلى درجة ما على سـلم الإشـباع الجمالى. لكن الأشياء الجميلة حقا هى التى لا يمكن إدراك جمال محسوس أكبر منها.
- Hackforth, Op. Cit., p.99.

(67) Hackforth, R., Op. Cit., p.98. & Philebus, 51b-e.
(68) Hackforth, R., Op. Cit., p.99.
(69) Philebus, 52a-b.
(70) Butler, J.E., Op. Cit., p.116.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن الوعى بأن يصير المرء فارغا. ويؤكد أفلاطون أن هذا النوع من اللذة يتمتع به القليل من الأشخاص، وهو ما يستلزم أنه يقصد بها اكتساب الحقيقة فى العلم وليس التعلم العادى للخبرة اليومية. ولا يذكر ما إذا كانت هذه اللذة أكثر قيمة بالنسبة له من اللذة الجمالية، فإن كانت لأصبح موقفه مماثلا لموقف أرسطو الذى يجد اللذة الأعلى فى المعرفة النظرية θεωρητικη επιστημη.[٧١]

وقد فسر البعض قبول أفلاطون للذة فى الحياة الخيرة وتجاهله لحياة العقل الخالص، بادعاء أن اللذات الحقيقية والخالصة ليست لذات تعويض، ولذلك فهى لا تقوم على نقص أو خلل وإنما هى "أفعال" ενεργειαι بالمعنى الأرسطى، بمعنى أنها ممارسات لقدرات نمتلكها بالفعل، وبالتالى فإنها تتوافق مع حالة التوازن والانسجام، ولا يختلط تفعيلها بعملية صيرورة. لكن مثل هذه القراءة الأرسطية لا تتفق مع النص، بالإضافة إلى أن الفارق بين اللذات المختلطة والخالصة يتمثل -كما تبين- فى أن الأولى تقوم على نقص "مدرَك"، بينما تقوم الثانية على نقص "غير مدرَك". فهو يؤكد أن النسيان بلا ألم ومن ثم تكون عملية التعلم هى التعويض اللذيذ لنقص غير محسوس.[٧٢]

إن أفضل أنواع اللذة كلذات التعلم لا تعوض فقط بعض النقص سواء كان مؤلما أو بلا ألم، بل إنها تزيد من نضال الإنسان من أجل تحقيق الاكتمال الذاتى. إن اللذات الحقيقية والخالصة يتم تنميتها كمكونات للحياة الخيرة ليس كنوع من الإضافة الحارة، ولكن كمحرض على الكمال أى أنها وسيلة لغاية أسمى. إنها ليست مجرد "خيرات علاجية"، لكنها خيرات "محفزة" تتسبب فى تحسينات تتخطى حدود الحالة الإنسانية الناقصة. ولذلك فإن التحريض عن طريق الرغبة واللذة مفضل على التمسك بحالة محايدة تخلو من اللذة والألم، وتفتقر إلى الوعى بأوجه قصورها.[٧٣]

النقاء معيار الحقيقة فى اللذة:

يعتقد أفلاطون -كما تبين- أن معيار الحقيقة فى اللذة نقاؤها وليس شدتها؛ إذ كلما كانت أكثر شدة كلما صارت أكبر كما، وكلما تضمنت الاختلاط بضدها أى الألم. ينتج من هذا ليس فقط أن الشدة ليست معيار الحقيقة فى اللذة، لكن أيضا أن القياس أو الاعتدال صفة جوهرية للذة الحقيقية. لا يقال بأى معنى تمتلك الأنواع المتعددة للذة الخالصة

(71) Hackforth, R., Op. Cit., pp.99-100.
(72) Frede, D., p.9.
(73) Ibid., p.11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحقيقية القياس أو الحد؟ وكيف يعمل العقل الإنسانى فى فرض هذا القياس؟ واضح أن هذه اللذات لا تميل إلى التطرف كاللذات الحسية العادية، لكن يبدو أن أفلاطون يقنع بترك هذا كحقيقة تتصل بالخبرة، ولا يعطى اعتبارا إيجابيا لقياس اللذات الخالصة. ورغم أن هذه فجوة خطيرة فى علم نفس أفلاطون -كما يعتقد Hackforth- فإنها لا تؤدى إلى فساد نتائجه الأخلاقية.[٧٤]

يبدو أن أفلاطون يريد تقييم اللذات بالطريقة التى تقيم بها ظاهرة نفسية أخرى هى الرغبات. عادة ما تقيم الرغبات وترتب بتقييم وترتيب موضوعات الرغبات. تقيم الرغبة فى طعام أو شراب معين مثلا بالحكم ما إذا كان ذلك الطعام أو الشراب خيرا للمرء أو لا. وما يجعل تقييم الرغبات بهذه الطريقة ممكنا أن الرغبة لابد أن تكون رغبة فى شئ، أى لابد أن يكون لها موضوع. ورغم أنه لا يبدو أن للذة موضوعا بصورة واضحة كما لدى الرغبة، فإن أفلاطون يعتقد أن للذة موضوعا وأنها يجب أن تقيم بتقييم ذلك الموضوع، وأنه ليس من المناسب تقييم وترتيب اللذات بشدتها كما يفعل أتباع مذهب اللذة. إن النقاء فى الحقيقة أساس لتقييم اللذة، ونقاء اللذة يرجع إلى نقاء موضوعها، وحيث إن موضوع اللذة الخالصة أفضل من موضوع اللذة غير الخالصة؛ فإنه يجب ترتيب اللذات الخالصة فوق اللذات غير الخالصة.[٧٥]

يبين التحليل النقدى للذة من جانب أفلاطون أن اهتمامه الرئيسى لم يعد باللذة كاضطراب للعقل أو محرض للأفعال الشريرة، وإنما بحقيقة أن معظم اللذات "حالات قصدية" أى أنها "عن" موضوع. وهى ليست محدودة بموضوعات البهجة، وإنما تشمل أيضا الاعتقادات. وإذا كانت حياة الإنسان تتكون بأكملها من لذات خاطئة؛ فهذا معناه أن لديه تصورا خاطئا عن الواقع، مما يجعل من حياته حياة أحمق. فالرؤية المنحرفة للواقع لا تتوافق مع حياة تستحق أن يعيشها كائن بشرى. والأسوأ حالة اللذات التى تقوم على اتجاه أخلاقى خاطئ نحو الآخرين، فمن يقضى حياته فى تنمية هذه اللذات تكون حياته حياة شرير.[٧٦] يمكن للذة أن تختلط بالحاجات والآلام والآمال الكاذبة والتصورات التى تغير من قيمتها الذاتية، ولذلك يحاول سقراط أن يحدد قيمتها الحقيقية باللجوء إلى تصنيف يستند إلى معايير صورية عقلية كالنقاء والثبات والحد والوجود. وبربطها بتصنيف

(74) Hackforth, R., Op. Cit., pp.102-103.
(75) Santas, G., Op. Cit., pp.319-320.
(76) Frede,D., Op. Cit., p.8.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للكيفيات الأخلاقية للأشخاص الذين يتمتعون بها بطريقة تبرهن أن الشرير يتمتع باللـــذات الخاطئة، بينما الخير يتمتع باللذات الحقيقية.[٧٧]

اللذة كون أو صيرورة:

يختتم سقراط تحليله النقدى للذة بالإشارة إلى مذهب "المتـــأنقين" κομψοι ويقـــال إنهم القورينائيون. وهم من يرون أن اللذة دائما عمليـــة مـــن "الـــصيرورة" أو "الكـــون" γενεσις وبالتالى لا يكون لها وجود محدد ثابت، بل إنها حالة مصاحبة للتغيرات غيـــر التامة يُشعَر بها أثناء عملية التغير، وتتوقف عند الوصول إلى الغاية من التغير. وحيث إن القصد هو الغاية، واللذة ليست الغاية لأنها مصاحبة لحركة، فلا يمكن أن تكون الخيـــر.[٧٨] إن التناقض بين الصيرورة والوجود مماثل للتناقض بين الوسيلة والغاية؛ فالكون يكون من أجل شئ غير ذاته، كذلك للغاية وليس للوسيلة قيمة حقيقية تقع تحت باب "الخير". ينتج أن اللذة إذا كانت صيرورة أو كونا فلا تكون خيرا.[٧٩]

يؤكد سقراط فى هذا التقييم الأنطولوجى للذة على الحياة المحايدة. فلما كانت اللـــذة دائما "صيرورة" أو "كونا" فهى أدنى بالنسبة لمرتبة الوجود ουσια الذى تؤدى إليـــه، ولا يمكن أن تكون خيرا. وأن من يختار اللذة غاية له فإنه يختار الكون والفـــساد، ويفـــضلهما على هذه الحياة الثالثة التى لا تتكون من اللذة ولا الألم، لكنهـــا حيـــاة الفكـــر فـــى أنقـــى درجة.[٨٠] لذلك يشعر سقراط بالامتنان لأصحاب هذا المذهب؛ لأن فى اتهامهم للـــذة بأنهـــا نوع من الصيرورة وليس الوجود نوعا من التحقير لمن يرى الخير فى اللذة. وهو ما يقر به بروتارخوس أخيرا ويعتبره أمرا سخيفا أن نعتبر اللذة هى الخير.[٨١]

أنواع المعرفة:

لا يستهدف أفلاطون بمعالجته للمعرفة وتصنيفه لأنواعها وترتيبها بحسب قيمتهـــا، البرهنة على أنها مكون للحياة الخيرة- فقد تبين ذلك منذ وقت طويل- وإنما هدفـــه فقـــط التحقق من قيمتها الفائقة فى تلك الحياة الخيرة على اللذة. يميز أفلاطون فى المعرفة بـــين

---

(77) Bossi, B., Op. Cit., p.129.

(78) عبد الرحمن بدوى: الفلسفة القورينائية أو مذهب اللذة، دار ليبيا للنشر والتوزيـــع، بنغـــازى، ١٩٦٩، ص ١١٥-١١٦.

وارجع أيضا إلى: -Philebus, 53c-54d.

(79) Hackforth, R., Op. Cit., p.106.

(80) Frede, D., Op. Cit., p.8.

(81) Philebus, 54d.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنواع مختلطة وأخرى تتسم بالنقاء، ويستند فى هذا التمييز إلى وجود أو غياب الأساليب الرياضية فى منهج العلم، وهو نفس المبدأ الذى يحدد اختيار الدراسات فى برنامج التعليم فى "الجمهورية". فكما اعتقد هناك أن العلوم الرياضية تستحق الدراسة من جانب الحراس تمهيدا لدراسة الجدل، كذلك فإن "فنون" العد والقياس والوزن يعلن هنا أنها الفنون القائدة أو الرئيسة، أو أن العد والقياس والوزن أساس التمييز بين مجموعة أدنى من الفنون تبتعد عن الدقة، ومجموعة أعلى تستخدم أدوات قياس وتتسم بالدقة.[٨٢]

يمثل المجموعة الأولى الموسيقى μουσικη والتى تعتمد على التخمين والممارسة أكثر من القياس. أما المجموعة الثانية فيمثلها النجارة أو البناء τεκτονικη حيث تُستخدم مقاييس وأدوات عديدة تمنحه الدقة وتجعله أكثر علمية من أغلب فروع المعرفة. يقول سقراط: "إذا افترض مثلا تجريد الحساب والقياس والوزن من كل فروع المعرفة فلن يتبقى فى كل حالة إلا النذر اليسير. لن يكون أمام المرء إلا التخمين وتدريب الحواس بالاستخدام المستمر والخبرة، ثم استخدام قدرات المرء فى التقدير، وهو ما يسمى بالمهارات أى القدرات التى تنمى بالممارسة الشاقة".[٨٣]

ويميز أفلاطون بين الأنواع "الصناعية والتجارية" من الرياضيات والأنواع "الفلسفية" أو "الأكاديمية": الأولى تتعامل مع وحدات غير متساوية مثل جمع ثورين، أو شئ متناهى فى الصغر مع شئ متناهى فى الكبر، والثانية تتعامل مع وحدات متساوية مجردة وتتسم بالدقة المطلقة. إذن ليس المقصود بالعد والقياس عد الأشياء المحسوسة، أو قياس الموضوعات المكانية. باختصار ليست كل الرياضيات التطبيقية المستخدمة فى الفنون اليدوية هى التى يمكن أن تزعم دقة مطلقة. فهذه يمكن أن تنتمى فقط للحساب أو القياس "الفلسفى" الذى على خلاف حساب أو قياس البناء والتاجر يتعامل مع وحدات متساوية.[٨٤]

ويستثنى أفلاطون الجدل صاحب المكانة العظمى والأكثر تعلقا بالحقيقة من أى علم آخر لأن موضوعه الوجود الحقيقى غير المتغير. ويسعى للتأكيد على المكانة العظمى للجدل باعتباره علم الوجود الحقيقى بمقابلته بالخطابة، والتى يميل بروتارخوس كتلميذ لجورجياس للاعتقاد أنها "الأفضل" من بين كل الفنون. يكشف سقراط فى رده عليه عن

82 Hackforth, R. Op. Cit., pp.112-114.
83 Philebus, 55e-56b.
84 Ibid., 56d-57a.
& Hackforth, R., Op. Cit., pp.114-115.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اتجاه مختلف نحو الخطابة عن اتجاهه المزدرى فى "جورجياس". إنه على استعداد للقبول بالقيمة العملية العظمى لهذا الفن، بما يتضمن أن المنفعة لا تزعم للجدل، الذى تقوم مكانته الفائقة فقط على حقيقته أو إدراكه للوجود الحقيقى. ويلاحظ أنه يقترب هنا من التصور الأرسطى للعلوم النظرية.[٨٥]

أى أنواع المعرفة واللذة تقبل فى الحياة الخيرة؟

عندما يشرع سقراط فى اختيار مكونات خليط الحياة الخيرة يصوغ مناقشته فى صورة درامية حيث يسأل كل طرف اللذات والمعارف أى من "العائلة" الأخرى يرغب فى العيش معه. وربما كان الغرض وراء خفة الروح هذه فى تقديم النتائج التعبير عن أن اللذة والمعرفة "كشريكين" فى الحياة الخيرة يعيشان فى سلام وألفة. فيما يتصل بالمعرفة يؤكد أفلاطون على ضم كل أنواع النشاط العقلى بما فى ذلك الأنواع الأقل دقة. ويتخذ هذا القرار من أجل حاجات الحياة العملية، فالمعرفة الخالصة لا تكفى وحدها لحل مشكلات الحياة اليومية. لا يمكن بناء بيت مثلا فى ضوء الرياضيات وحدها وإنما لابد فى التعامل مع الأشياء الحسية من استخدام نوع "المعرفة"* أو "العلم" المناسب لها،[٨٦] والسماح بالمهارات التى تتضمن مقاييس غير دقيقة إذا كان للمرء أن يجد طريقه إلى البيت. حتى الموسيقى التى يغلب عليها التخمين والمحاكاة لابد أن يتضمنها الخليط إذا كان للحياة الإنسانية أن تكون نوعا من الحياة. فلا ضرر من السماح بكل أنواع المعرفة الخالصة والأدنى طالما أن أكثرها تعلقا بالحقيقة قد قبل.[٨٧]

أما اللذات المقبولة فتحصى فى حديث المعرفة والعقل تحت ثلاثة أبواب: (١) اللذات الحقيقية والخالصة، و(٢) اللذات المصاحبة للصحة والاعتدال، و(٣) اللذات

---

(85) Hackforth, R., Op. Cit., pp.113-114.

وانظر:

- Philebus, 58a-e.

(*) لا يتناقض ما يقال هنا مع مفهوم أفلاطون المعتاد للمعرفة فيما عدا أن الكلمة الفعلية επιστημη قد امتدت. إن موقفه كما كان دائما أن المحسوسات لا يمكن أن تكون موضوعات للعلم الدقيق، وهو يحتفظ بكلمة επιστημη للعلم الذى يتعامل مع المثل غير المحسوسة، مستخدما كلمة δοξα للقوة التى تدرك المحسوسات ولا يمكن أن ترتفع فوقها. لكن نسق محاورة "فيليبوس" بتصنيفاته المتوازية للمعرفة واللذة يتطلب استخدام كلمة واحدة للتعبير عن المفهوم الجامع فى كل حالة، و επιστημη باستخدامها هكذا بصورة جمعية كانت تالية لـ φρονησις الكلمة المسيطرة خلال المحاورة بأكملها.

- Hackforth, R., Op. Cit., p.127.

(86) Hackforth, R., Op. Cit., pp.127-128.

(87) Philebus, 62b-d.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التى دائما ما تصاحب الفضيلة. أما اللذات الشديدة والعنيفة فيرفض العقل وجودها لما تمثله من عوائق لا حصر لها فى طريقه، كما أنها تمنع نمو المعرفة بما تجلبه من نسيان بجنونها ولامبالاتها.[٨٨]

يشير أفلاطون بالصنف الثانى إلى اللذات الضرورية المتعلقة بإشباع الحاجات الجسمية البسيطة. أما الصنف الثالث فهو صنف واسع يقترب به من المبدأ الأرسطى الذى يربط الحكم على اللذة بالخير أو الشر بحسب النشاط الذى تصاحبه. ولا شك أن أفلاطون يعتبر اللذات من هذا النوع خيرة وإلا فلن تجد مكانا فى الحياة الخيرة. مع ذلك فإنه يميزها عن اللذات "الحقيقية والخالصة"، ربما لأنها برغم أهميتها لا يمكن أن تتوافق مع التصور الأفلاطونى للذة كإشباع لنقص، والذى يتلاءم أكثر مع اللذات الضرورية، ويمتد إلى أنواع من اللذة العقلية.[٨٩]

إذا كانت كل أنواع المعرفة مطلوبة وتستوجب الاهتمام، وكل اللذات التى تنسجم معها موضع ترحيب، فإن مثل هذه الحياة لا تقتصر على الفيلسوف لكنها متاحة لكل شخص يمتلك العقل الصائب. لذلك ربما لم يعد أفلاطون يظهر كنخبوى كما كان فى كثير من أعماله المبكرة. لكن مع العلم بمعايير اختيار اللذات الحقيقية والخالصة فإن تصوره للحياة الخيرة لا يزال قاسيا؛ فالأنواع الأقل دقة من المعرفة يضمنها فقط وجود الجدل النوع الأعلى والأنقى والأكثر دقة، والذى من بين كل العلوم يبقى فى أيدى الفلاسفة.[٩٠]

يضيف أفلاطون "الحقيقة" كمكون ثالث إلى الخليط فأى شئ لا يمزج بالحقيقة αληθεια لن يأتى إلى الوجود، وإذا وجد فلن يبقى أو يستمر فى الوجود. والمقصود بهذا على الأرجح أن يكون تذكيرا بالاهتمام المتزايد من جانب أفلاطون بأن مبادئه لابد أن تكون قابلة للتطبيق.[٩١] هل الحياة الخيرة التى بذل كل هذا الجهد فى اكتشافها يمكن أن تعاش فعلا (فى الواقع) أم أنها مجرد خيال فلاسفة؟ كما يعبر جلوكون فى نهاية "الجمهورية" عن خوفه أن تكون الدولة المثالية كذلك. على أية حال لا يجب فهم ما يقال هنا حرفيا إذ لو كانت الحياة المختلطة مجرد خيال فلا يمكن أن تتحول إلى موجود حقيقى

(88) Ibid., 63d-e.
(89) Hackforth, R., Op. Cit., p.128.
(90) Frede, D., Op. Cit., pp.13-14.
(91) Philebus, 64c-65a. &Guthrie, W.K.C., A history Of Greek Philosophy, Vol. V, The later Plato And The Academy, Cambridge University Press, Cambridge, 1978, pp.233-234.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بضخ الحقيقة فيها. لكنها طريقة أفلاطون فى التعبير عن أمله وإيمانه أن نوع الحياة المشار إليها ليست مثلا أعلى مستحيلا. وإدراكه أنها إذا لم تكن كذلك فسيضيع كل عمله فى المحاورة سدى. يتوافق هذا التأويل مع اعتبار الحقيقة إحدى العلامات الثلاث للخير - كما سيتضح فيما يلى.[٩٢]

صور الخير فى الحياة المختلطة:

إذا كان الخير فى الحياة المختلطة فما العنصر الأكثر قيمة فى الخليط والمسئول عن كون هذه الحياة خيرة ومرغوبة للجميع؟ ثم هل الدور الذى يقوم به هذا العنصر يكشف عن قربه أكثر للذة أم العقل؟ يقرر سقراط أن الخير فى أى خليط يعتمد بالضرورة على القياس أو النسبة الصائبة. يربط هذا الخير بالجمال لأن الجمال أيضا أمر يتعلق بالقياس والنسبة. وكما تبين فإن الحقيقة أيضا تكون فى الخليط وهى جزء مما يجعله خيرا. وبذلك يكون الخير وحدة تجتمع فيها ثلاثة أشياء: الجمال والنسبة والحقيقة.[٩٣] وتعد الصلة القريبة للخير بالجمال، وللجمال بالنسبة بين أجزاء الكل، أمرا مألوفا لدى أفلاطون والفكر اليونانى بصفة عامة ولا يحتاج إلى تفسير. وقد تم التمهيد لهذا سابقا فى المحاورة بالتأكيد على أن كل الحالات الخيرة فى الطبيعة أو فى الإنسان تعود إلى الخليط من الحد واللامحدود، والذى ينتج من القياسات المتحققة بمساعدة الحد.[٩٤]

يحين الآن وقت الحكم بين اللذة والعقل لتقرير أى منهما أكثر اتصالا بالخير الأعلى، وذلك بالنظر فى صور الخير الثلاث وهل اللذة أم العقل أقرب لكل منها؟ بالبدء بالحقيقة ليس هناك وجه للمقارنة إذ لا يوجد ما هو أكثر خداعا من اللذة. يقال إنه فى الحب أكثر اللذات شدة دائما ما يتم الصفح حتى عن الحنث فى اليمين، لأن اللذة كالطفل تخلو من العقل. أما العقل فإذا لم يكن مرادفا للحقيقة فإنه الأقرب إليها. وكذلك بالنسبة للقياس لا يوجد شئ أكثر بعدا عنه من اللذة، وأكثر قربا منه من العقل والمعرفة. أما بالنسبة للجمال فيتفق سقراط وبروتارخوس أنه لا يمكن لأى شخص ولا حتى فى أحلامه أن يجد فى العقل والمعرفة شيئا حقيرا أو يحط من قدرهما. بينما اللذات خصوصا أكثرها شدة فتجلب الخجل αισχος والسخف والازدراء.[٩٥]

---

(92) Hackforth, p.133.
(93) Guthrie, W.K.C., Op. Cit., p.234.
(94) Hackforth, R., Op. Cit., p.133.
(95) Philebus, 65a-66a.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن فإن كل صور الخير وعلاماته- الجمال والنسبة والحقيقة- توجد فى العقل والفكر، بينما اللذة مخادعة وغير مقيسة فى شدتها، وتستبعد لما تجلبه من عار سواء كانت قبيحة أو سخيفة. والنتيجة أنه لا يمكن أن تمنح اللذة المكانة الثانية باعتبارها أكثر مسئولية من العقل عن خير الحياة المختلطة.[٩٦] يؤكد هذا ما ذكره سقراط مبكرا فى المحاورة من أنه أيا ما كان الذى باحتوائه فى هذه الحياة المختلطة يجعل تلك الحياة مرغوبة وخيرة معا، فإنه شئ يكون العقل أقرب إليه وأكثر شبها من اللذة. وهو فى تحديده لأنواع اللذات المختلطة إنما كان يكشف عن السمات التى تلحق باللذة من حيث هى غير محدودة وغير مرتبطة بالعقل. وإحدى هذه السمات الادعاء أو الخداع، فهى الأسوأ من بين كل المدعين فى مقابل حقيقة العقل. كذلك فإن دونية اللذة تستند إلى أن بعض اللذات قبيحة أو مخجلة بينما العقل ليس كذلك. والغرض الحقيقى هنا الكشف عن القبح الأخلاقى المتضمن فى لامحدودية اللذة.[٩٧]

لكن هل تتوافق هذه الإدانة للذة مع القبول باللذات الخالصة والضرورية والمصاحبة للفضيلة فى خليط الحياة الخيرة؟ حتى بالتسليم بأن بعض اللذات تستحق الإدانة ألم يتم استبعادها من الخليط؟ وبالتالى ألا يجب غض النظر عنها فى الإجابة عن السؤال: أى جزء من الخليط أكثر قربا مما يجعله خيرا؟ يمكن الإجابة بأن استحسان أى لذة إنما يرجع إلى شئ خارجها عدل من طبيعتها وكبح ميلها الغريزى للزيادة اللامحدودة. لكن من أجل الحكم بين اللذة والعقل يخول النظر إلى كل اللذات حتى المقبولة منها مجردة من العقل. تنشأ الصعوبة من حقيقة أن مكونى اللذات المقبولة "مختلطان" بالفعل. على الرغم من أن هذا التفكير ربما يكون مشوشا لكن مبدأ أفلاطون واضح: لأن القيمة التى تمتلكها أى لذة إنما ترجع إلى ارتباطها بالعقل والحد، فهى من ثم عامل أدنى وإن كان ضروريا فى الحياة الخيرة.[٩٨]

إذن تفقد اللذة المرتبة الثانية ويفوز بها العقل والمعرفة فهو الأقرب لعلة الخير كما تبين فى حجته الأنطولوجية. وإذا كشفت اللذات المقبولة عن شئ من الاستحسان فلأن العقل هو الذى يمنحها القياس والاعتدال ويحفظهما بتحكمه.

---

(96) Guthrie, W.K.C., Op. Cit., p.234.
(97) Hackforth, R., OP. Cit., pp.133-135.
(98) Ibid., p.134.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقتنيات النوع الإنسانى:

يختتم سقراط مناقشته بترتيب ما يسميه "مقتنيات" النوع الإنسانى فى سلم متناقص القيمة يضم خمسة مقتنيات. يقع المقتنى الأول "فى منطقة" القياس μετρον والمعتدل μετριον والمناسب καιριον وأمثالها، أما الثانى فينتمى إلى منطقة المتناسق συμμετρον والجميل καλον والتام والكافى وأمثالها. وكان السؤال: ما الفارق بين المقتنى الأول والثانى؟ مشكلة واجهت الدارسين لسنوات عديدة، بالإضافة إلى السؤال: هل "المتناسق" و"الجميل" إلخ أشياء ذات طابع معين أم أنها مثل أفلاطونية؟[٩٩]

فيما يتعلق بالسؤال الأول أو كيف يختلف القياس عن المتناسق؟ يعتقد Hackforthأنه فى الصيغة الأولى يُنظر إلى كل جزء أو عامل من الحياة الخيرة بذاته، لذلك فهى تدل على تحقيق التحديد الكمى الصائب فيما يخص كل معرفة ولذة. (لاشك أن أفلاطون يفكر أساسا فى المقاييس المفروضة على اللذات، ولم يفترض أن أى نوع من المعرفة يمكن أن يبلغ الإفراط). بينما فى الصيغة الثانية يُنظر إلى الحياة الخيرة ككل بإدراك العلاقات بين أجزائها. وعلى ذلك فإنه من الطبيعى أن يأتى المقتنى الثانى ثانيا، فالترتيب منطقى وليس أخلاقيا.[١٠٠]

أما Guthrie فيرى أنه يصعب الاعتقاد أن أفلاطون لم يقصد أى تمييز من حيث القيمة بين الاثنين. وأنه بالنظر إلى كلمة "مقتنى" وإلى سياق المحاورة ككل لابد من تحديد هذا التقييم الخماسى بالأشياء الخيرة داخل الحياة البشرية. ويترتب على هذا استبعاد المثل حتى وإن رأى أفلاطون أن الخير للإنسان- باعتباره لا ينفصل عن القياس المناسب والاعتدال- يعكس العالم المنظم بواسطة العقل الإلهى. وعلى الرغم من اقتراح Zeller أن "المقتنى" الأول يمثل المشاركة فى مثال "القياس"، والثانى آثاره أى عناصر الاعتدال وما يشبهها فى الحياة البشرية. لكن يبقى أنه لا شئ مؤكد عدا أن الاثنين معا يؤكدان تفوق القياس والاعتدال.[١٠١]

يأتى ثالثا فى القائمة العقل والمعرفة النظرية، ورابعا المعرفة العملية والاعتقادات الصائبة، وخامسا اللذات الخالصة التى يتمتع بها العقل وحده وتصاحب بعض صور المعرفة، أو يتسبب فى بعضها الحواس. وينتهى سقراط باقتباس غامض من شعر أورفى

---

(99) Guthrie, W.K.C.,Op. Cit., p.235.
(100) Hackforth, R., Op. Cit., p.138.
(101) Guthrie, W.K.C., Op. Cit., pp.235-236.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن أصل الآلهة يتضمن ضرورة التوقف عند الصنف السادس: "دع أنشودة الثناء تتوقف عند الصنف السادس" (٦٦c). غير واضح هل المقصود عدم تجاوز الصنف الخامس كما أكد البعض، أو الانتهاء بالسادس والذى لا يذكر أفلاطون ماذا يكون، وإن كان من المرجح أنه يشير به إلى اللذات الضرورية والمعتدلة التى قبلها سابقا فى الحياة الخيرة.[١٠٢]

مما يرجح أن أفلاطون يشير بالصنف السادس إلى محتوى إيجابى هو اللذات الضرورية، أن بروتارخوس يدرك بذكائه أن هناك شيئا متبقيا يدين به سقراط وأنه سيذكره به دون توضيح معنى هذا التحذير(67b). ويدل ذلك أيضا على وعى أفلاطون أنه يخاطر بإمكانية اتهامه بعدم الاتساق؛ لقبوله فى البداية اللذات الضرورية المختلطة فى الحياة الخيرة، ثم عدم تخصيص مكان لها فى ترتيبه النهائى. مع ذلك يمكن تبرير هذا الموقف بأن اللذات الضرورية تميل للإفراط إذا تركت لذاتها لكونها لامحدودة، ومن ثم لا يمكن تضمينها فى قائمة الخيرات لأن الخير لا يقبل الإفراط. لكنها يمكن أن تصير خيرا بفرض الحد والقياس عليها من قبل الحكماء العاقلين الذين يتمتعون بها باعتدال، بينما تصير الأشد والأقوى عندما ترتبط بالحمق والجهل. أى أن الحكمة تضع حدودا على اللذات الضرورية لكى تجعلها جزءا مكملا للحياة الخيرة.[١٠٣]

وهناك من يعتقد أن عدم الاتساق الظاهر يعد حجة ضد اعتبار الترتيب النهائى ترتيبا للخيرات. فالاختلاف بين اللذات الخالصة وغيرها من اللذات التى يمكن أن تكون جزءا من حياة خيرة، هو أن اللذات الخالصة ذاتها علل للسمات الخيرة للحياة البشرية. لأنه عندما يصبح التعقل مصدرا للذة فإنه ينعكس على حياة المرء بطريقة شاملة أكثر ويجعله يعيش حياة العقل. أما اللذات الأخرى فهى بحاجة للقياس والعقل، أو لأن تختلط وتعدل بواسطة اللذات الخالصة لكى تصير خيرة. وعلى ذلك يمكن النظر إلى الترتيب النهائى على أنه قائمة لعلل أو مبادئ حياة مختلطة جيدا وليس لخيرات تضيف إلى هذه الحياة.*[١٠٤]

---

(102) Ibid., p.236. & Philebus, 66b-c.

(103) Bossi, B., Op. Cit., pp.128-133.

(*) تعتقد Vogt أنه لا يجب تسمية مفردات هذه القائمة "خيرات" من ناحية لأن أفلاطون نفسه لا يستخدم هذه التسمية، ومن ناحية أخرى لأن القائمة غير متجانسة، كما أنه بالرجوع إلى قائمة الخيرات البشرية والإلهية فى "القوانين" نجد أن الصحة والجمال والقوة والثروة بهذا الترتيب تسمى خيرات بشرية، والحكمة والاعتدال والعدالة والشجاعة تسمى خيرات إلهية، ولا ترد أى من هذه الخيرات فى قائمة فيليبوس. علاوة على أن القائمة لا تضم أيا من الفضائل، فهل يعنى هذا أن اللذة عند أفلاطون خير أعلى من الفضيلة؟ ربما كان للذات الخالصة إلى المدى الذى تكون فيه لذات للعقل قيمة أكبر من فضائل كالشجاعة أو الاعتدال، لكن لماذا يكون لها قيمة أكبر من الحكمة؟ إن السبب الوحيد المعقول- من وجهة نظرها- لعدم ظهور الحكمة فى الترتيب أن الحكمة بالمقارنة باللذة مركب؛ ففيها تبرز العديد من الأشياء- اللذات والآلام، القياس، الجميل والمتناسب، والأنشطة الإدراكية، بل إن كل عناصر القائمة تتعلق بالحكمة. -Vogt, K.M., Op. Cit., p.254.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكننى لا أتفق مع عدم اعتبار الترتيب النهائى ترتيبا للخيرات، خصوصا فى استناده إلى استخدام أفلاطون للتعبير "مقتنى"؛ فقد سبق أن استخدم هـذا التعبيـر فـى (19c-d) كمرادف للخير عندما أكد على لسان بروتارخوس أن الهدف من هذا النقاش تقريـر مـا "المقتنى" الأفضل لدى الإنسان: اللذة والمتعة والابتهاج كما يقول فيليبوس، أم أن "الخيـر" الأفضل من اللذة هو الحكمة والمعرفة كما يرى سقراط.

تنتهى المحاورة إذن بأن "الخير" فى الحياة المختلطة من العقل واللذة معـا، ولكـن العقل أقرب بكثير جدا من اللذة إلى ما يجعل تلك الحياة خيرة. أما اللذة فينتهى بها الأمـر إلى المرتبة الخامسة فى تصنيف متناقص القيمة للمقتنيات أو الخيرات الإنسانية.

ويمكن القول إن الرسالة العملية الهامة للمحاورة أنه يجب محاكـاة أفروديـت فـى وضع الحدود على اللذة وذلك لصيانتها وليس لتدميرها. يوضح هذا أيضا أن اللذة لا يمكن أن تختلط سواء بالحالة المحايدة أو بالخلو من الألم، فاللذة شئ إيجـابى يُحفـظ بفـرض القياس عليه. إن للذة كاسم لربة طبيعتها المضللة الساحرة بجانب سمتها المقدسـة، لـذلك فهى تحتفظ بأثر من الخير. أما عندما تُترك لذاتها فإنها تفسد وتحدِث نوعا مـن الفوضـى بعودتها إلى صورتها اللامحدودة. إذا اتبع المرء طريق اللذات اللامحدودة ينتهى به الأمر إلى الألم، أما إذا اتبع طريق الخير فسيصل فى النهاية إلى اللذة الحقيقية.[١٠٥]

(104) Vogt, K.M., Op. Cit., p.254.
(105) Bossi, B., Op. Cit., p.130.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتائج البحث

وقد انتهى البحث إلى النتائج التالية:

١- على الرغم من الشكوك التى قد تثار حول جدية أفلاطون فى قبوله لملامح معينة للذة فى الحياة الخيرة، وبخاصة مع اختياره لشخصية سقراط لقيادة الحوار فى "فيليبوس"، فقد تبين من خلال قراءة وتحليل مناقشات سقراط وبروتارخوس، أن أفلاطون لم يعبر على لسان سقراط عن أى نوع من التهكم يؤكد هذه الشكوك، بل وهدف فى المحاورة إلى تقديم سقراط فى صورة أكثر ديمقراطية، يظهر استعداده للقبول بتسوية مع تابعٍ غير متطرف لمذهب اللذة مثل بروتارخوس، حتى وإن كان هو نفسه لا يجب أن يعتبر الحياة المختلطة من اللذة والمعرفة أفضل حياة للكائن البشرى.

٢- استطاع أفلاطون من خلال تحليله النقدى للذة أن يكشف عن طبيعتها اللامحدودة الميالة للغلو والإفراط، وأن يؤكد أنها ليست خيرا فى حد ذاتها، ولذلك فهى بحاجة لفرض الحد والقياس عليها من خلال تدخل العقل، حتى تصير خيرا ويمكن تضمينها فى الحياة الخيرة. كما تمكن أيضا من تمييز أنواع اللذة المختلفة: المختلطة والخالصة، الخاطئة والصحيحة أو الحقيقية، وتحديد قيمتها استنادا إلى معايير صورية كالنقاء والخضوع للحد والقياس، وبيان أن الحكم على قيمة اللذة إنما يكون بالحكم على موضوعها، وما ترتبط به من تصورات ورؤى خاطئة أو صائبة. وربط بالتالى بين قيمة اللذة وأخلاقيات من يتمتعون بها، فلذات الشرير والأحمق هى بالضرورة لذات خاطئة، بينما لذات الخير والحكيم هى اللذات الحقيقية، والتى تستحق أن تضمن فى الحياة الخيرة ويكون لها دور فى تحقيق السعادة الإنسانية.

٣- لم يتخلَ أفلاطون فى "فيليبوس" عن حياة العقل الخالص كأفضل حياة إنسانية يمكن تخيلها. لكن حيث إنه ليس بمقدور الإنسان أن يحيا هذه الحياة على الدوام لأنه ليس إلها؛ فإنه يوصى بحياة تختلط فيها المعرفة واللذة، حياة يمكن للطبيعة البشرية أن تحققها فى ظل ما تتصف به من نقص، وفى ظل حاجتها المستمرة لتعويض هذا النقص والوصول إلى الكمال. ويظل العقل مع ذلك صاحب المكانة الأعلى لأنه الأقرب للعلة التى تمنح هذا الخليط خيريته؛ فهو مصدر القياس والتناسب والحقيقة. بالإضافة إلى أن القيمة التى تمتلكها اللذة إنما ترجع إلى ارتباطها بالحد وبالعقل الذى يكبح ميلها الغريزى للغلو والإفراط.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤ - لا يُعتبر قبول أفلاطون للذة كمكون ضرورى فى الحياة الإنسانية الخيرة إذعانا لمذهب اللذة. فقد رفض رفضا تاما وصريحا أن يكون الخير الأسمى للإنسان فى حياة اللذة الخالصة التى نادى بها "فيليبوس" ممثلا لمذهب اللذة المتطرف. وقبل من ناحية أخرى اللذات الحقيقية والخالصة، لدورها فى الحفاظ على الحياة الإنسانية، ودفعها نحو تعويض النقص وتحقيق الاكتفاء الذاتى. ورغم اتفاقه مع أتباع مذهب اللذة فى أنها دافع للفعل وفى الاهتمام بها كمبحث أخلاقى، فإنه يختلف مع المتطرفين منهم فى أنهم يعتبرونها وحدها الخير الأسمى، بينما يقبلها هو كمكون أدنى وإن كان ضروريا فى الحياة الخيرة.

٥ - إن أفلاطون بتحديده للخصائص الصورية للخير فى الكمال والكفاية وجدارة الاختيار، لم يعد يهتم بالسؤال التقليدى ما إذا كان الخير الأسمى فى اللذة أو الحكمة، وإنما أصبح اهتمامه بالحياة الإنسانية الخيرة ذاتها. فهذه الخصائص لا تتوافر فى اللذة وحدها ولا فى الحكمة وحدها، ولذلك اتجه إلى فحص الحياة البشرية وأشكالها المختلفة، ليصل إلى أن الحياة الخيرة تتكون من الخليط الجيد للمعرفة واللذة. وبالتالى فقد تجاوز أفلاطون الشكل التقليدى للبحث فى الخير، إلى محاولة فهم مكونات الحياة البشرية المختلطة، والعلة التى تجعل هذه الحياة مرغوبة وخيرة معا.

٦ - إن تضمين أفلاطون لكل أنواع المعرفة وما ينسجم معها من لذات صائبة فى خليط الحياة الخيرة، يجعل مثل هذه الحياة متاحة لكل شخص يستطيع أن يمارس ما لديه من قدرات عقلية. ومن ثم لن تكون السعادة أمرا بعيد المنال لا يحصل عليها الإنسان إلا إذا تخلص من أحمال الجسم ولذاته كما ذهب فى "فيدون". أو أمرا خاصا بالصفوة أو الفلاسفة الذين يحتكرون المعرفة الحقيقية كما ذهب فى "الجمهورية". وإذا كان أفلاطون قد قصر إمكانية التمتع بلذات التعلم على قلة من الناس، وجعل الجدل أسمى أنواع المعرفة والضامن لأنواعها الدنيا حكرا على الفلاسفة، فما المانع فى أن يعد هذا حافزا للإنسان يدفعه نحو تخطى النقص والتطلع إلى الكمال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصطلحات اليونانية الواردة بالبحث*

αιρετος	Eligible, to be chosen	جدير بالاختيار
αισχος, το	Shame	خجل
αιτιον, το	cause	علة
αληθεια,η	Truth, reality	حقيقة، واقع
βιος ,ο	Life	حياة
γενεσις, η	Genesis, becoming	كون، صيرورة
δοξα, η	Opinion, belief	رأى، اعتقاد
εικων, η	An image in the mind	صورة عقلية
ενεργεια, η	Action	فعل
επιστημη, η	Knowledge, science	معرفة، علم
ηδονη, η	Pleasure	لذة
θεωρητικη	Theoretical	نظرى
ικανος	Sufficient	كاف
καιριον	At the right place, opportune	مناسب
καλον	beautiful	جميل
κομψος	Well-dressed, exquisite	أنيق
μεικτος	Mixed	مختلط
μεσος	Middle, neutral	متوسط، محايد
μετριον	Moderate, within measure	معتدل
μετρον, το	Due measure, limit	القياس المناسب

(*) لمراجعة وتدقيق المصطلحات اليونانية استعنت بـــ:

- Liddell & Scott, An intermediate Greek-English Lexicon, founded upon the 7th edition, The Clarendon Press, Oxford, 1996.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

μουσικη, η	Music	الموسيقى
ουσια, η	Being, substance	الوجود، جوهر
συμμετρον	Symmetrical	متناسق
τεκτονικη, η	Carpentry	النجارة
τελεος	Complete, perfect, reached its end	كامل، تام، حقق غايته
τελος, το	End, perfection	غاية، كمال
φαντασια, η	Imagination	خيال
φθονος, ο	Envy	حقد
φρονησις, η	Wisdom	حكمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصـــادر والمراجـــع

أولا: المصادر:

١- أفلاطون: القوانين، ترجمة تايلور، ونقلها إلى العربية محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٦.

٢- أفلاطون: فيدون، محاورات أفلاطون، ترجمة وتقديم زكى نجيب محمود، تحرير محمد عنانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠١.

٣- محاورة فيدروس لأفلاطون أو عن الجمال: ترجمة وتقديم أميرة حلمى مطر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩.

4- Plato, Philebus, translated with Notes and Commentary by J.C.B.Gosling, Clarendon Press. Oxford, 1975.

5- Plato, The Dialogues Of Plato, translated with analysis and introduction by B. Jowett, vol. III, 4th ed., The Clarendon Press, Oxford, 1953.

ثانيا: المراجع:

6- عبد الرحمن بدوى: الفلسفة القورينائية أو مذهب اللذة، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٩٦٩.

7- Bossi, B., How consistent is Plato with regard to the "unlimited" character of pleasure in the Philebus? in "Plato's Philebus, Selected Papers From The Eighth Symposium Platonicum", ed. by John Dillon & Luc Brisson, International Plato Studies, Vol.26, Academia Verlag, 2010.

8- Butler, J.E., "Pleasure's Pyrrhic Victory: An Intellectualist Reading of the Philebus", in Oxford Studies In Ancient Philosophy, ed. by David Sedley, Vol.33, Oxford University Press, Oxford, 2007.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

9- Cooper, J.M., Knowledge, Nature and the Good, essays on ancient philosophy, Princeton University Press, Princeton & Oxford, 2004.

10- Frede, D., Life and its limitations: the conception of happiness in the Philebus, in "Plato's Philebus", Selected Papers From The Eighth Symposium Platonicum", ed. by John Dillon & Luc Brisson, International Plato Studies, Vol.26, Academia Verlag, 2010.

11-Guthrie, W.K.C., A history Of Greek Philosophy, Vol. V, The later Plato And The Academy, Cambridge University Press, Cambridge, 1978.

12- Hackforth, R., Plato's Examination Of Pleasure, A Translation of the Philebus, with Introduction and Commentary by R. Hackforth, Cambridge University Press, Cambridge, 1945.

13- Santas, G., Plato On Pleasure as the Human Good, in a Companion To Plato, ed. by Hugh H. Benson, Blackwell Publishing Ltd., 2006.

14- Vogt, K. M., Why Pleasure Gains Fifth Rank: Against the Anti-Hedonist Interpretation of the Philebus, in "Plato's Philebus", Selected Papers From The Eighth Symposium Platonicum", ed. by John Dillon & Luc Brisson, International Plato Studies, Vol.26, Academia Verlag, 2010.

15- Liddell & Scott, An intermediate Greek-English Lexicon, founded upon the 7th edition, The Clarendon Press, Oxford, 1996.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com